



مجلة النقد الأدبي

فُطُوح

مكتبة الاسكندرية: التاريخ المتجدد

سلطة الجذور

الذات والعالم والمطلق

ما الشعبي في المعتقدات الشعبية

بنية سوسيو لوجيا بوردو ومنطقها

دالاس وأيديولوجيا الثقافة الجماهيرية

نص وقراءتان: وكالة عطية

بين لسان الورق والمهمشين روائيا

محفوظات السرد والنص الباطن في سيرة الظاهر بيبرس

البنية اللسانية والخطاب في سيرة بني هلال

شخصية العبد: سهير القلماوي في شهادتين

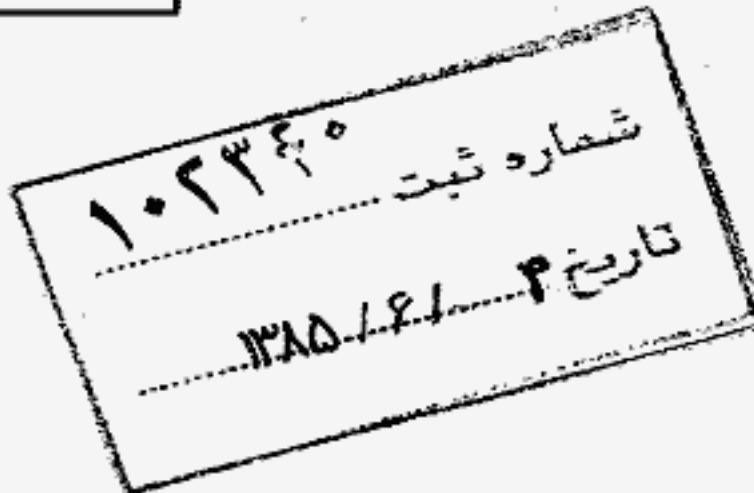
فصول

مجلة النقد الأدبي
علمية محكمة

محور العدد:

الثقافة الشعبية والحدثة

مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب



فصول

مجلة النقد الأدبي
علمية محكمة

رئيس التحرير
هدى وصفى

نائب رئيس التحرير
محمد الكردي

مدير التحرير
محمود نسيم

السكرتارية
آمال صلاح
محمد سعد شحاته

جمع وتنفيذ
أمل على

العدد رقم ٦٠

رئيس مجلس الإدارة
سمير سرحان

هيئة المستشارين

سيزا قاسم
صلاح فضل
فريال غزول
كمال أبو ديب
محمد برادة



قواعد النشر:

- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
- يتراوح عدد كلمات البحث من ٨٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ كلمة.
- يفضل أن يكون البحث مجموعاً بالحاسوب IBM ومرفقاً به القرص المدمج.
- على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية وملخصاً وافياً.
- لا ترد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- يخضع ترتيب النشر لاعتبارات فنية.
- تدفع المجلة مكافأة مقابل البحوث المنشورة ويحصل الباحث على نسخة من المجلة.

النص الحجاجي العربي

دراسة في وسائل الإقناع

محمد العبد

١- توطئة

توصيف مكونات البنية الحجاجية للنص الحجاجي العربي تشكّل نوعاً نصياً خاصاً، واستقراء وسائل الإقناع المنطقية واللغوية وتحليل صورها المختلفة انطلاقاً من معطيات العينات النصية المختارة لهذه الدراسة ذاتها، هما الهدفان الأوليان اللذان تسعى دراستنا إلى تحقيقهما. وقد اقتضى تحقيق هذين الهدفين تمهيد السبيل إلى التطبيق بهذه التوطئة النظرية التي نرعى بها إلى إلقاء ضوء على المفاهيم والأسس النظرية ذات الصلة الوثقى بمحتوى المعالجة التطبيقية.

(أ) أنواع النصوص

التمييز بين أنواع النصوص وفقاً لمعايير لغوية واتصالية هو مجال نظرية أنواع النصوص Text Type Theory لا نغنى هنا بتقديم مراجعة شاملة لأدبيات هذه النظرية، ولكننا نمحس القول فيما يناسب أهداف الدراسة. هدف نظرية أنواع النصوص تكثيف خواص البنية اللغوية وأنماط الوظائف الاتصالية التي يغلب ارتباطها بنوع نصي بعينه مقارناً بسائر الأنواع الأخرى. الهدف من تصنيف النصوص إلى أنواع محددة هو دائماً اختصار العدد غير المتناهي من نصوص حقيقية إلى أنماط كبرى قابلة للتحديد والتحليل.

كان للاتجاه الموجه إلى النظام اللغوي من منظور بنائي، لا سيما من منظور الملامح النحوية، إسهامه في نظرية النص. كانت نقاط التركيز فيه مختلفة: طرق توزيع الأزمنة في النص، وطرق استخدام العناصر الإشارية، وطرق الربط الإحالي إلخ. بيد أن كثيراً من الإسهامات اللاحقة في نظرية النص قد أثبتت عجز البحوث البنائية الموجهة إلى النظام اللغوي وحده عن أن تمدنا بوسائل كافية لتصنيف مناسب للنصوص من حيث هي واقعات في سياق التفاعل الاتصالي. لقد لوحظ أن النص الواحد يمكن أن يشتمل على أكثر من نوع نصي واحد، وهو ما يوجب أن يتحلى نموذج "نوع النص" بصلاحيته لأداء أفعال لغوية معقدة ذات ارتباطات بالعلامات السياقية-الموقفية، والعلامات الوظيفية-الاتصالية، والعلامات البنائية النحوية والموضوعية جميعاً^(١).

ويحدد برنكر Brinker ثلاثة معايير للتمييز بين أنواع النصوص في علم اللغة النصي:

١- الوظيفة النصية معياراً أساسياً: ويقود هذا المعيار إلى التمييز بين أنواع نصية خمسة: إخبارية (كالخبر والتقارير)، وطلبية (كالقانون والطلب)، والتزامية (كالعقد والضمان)، واتصالية (كالإعراب عن شك، وإقرارية (كالوصية).

لوحظ أن هذه الأنواع المحددة في إطار وظيفة النص واسعة جداً، ويمكن أن توزع على نحو آخر إلى أنواع أكبر.

المعايير السياقية: وتجرى على مستوى الوصف الموقفي الذي يضم مقولتي "شكل الاتصال Kommunikationsform" و "مجال الفعل Handlungsbereich". ويحدد الموقف الاتصالي من خلال الوسيط الذي تنقل عبره النصوص. ويميز هنا بين خمسة وسائط: الاتصال المباشر (وجهاً لوجه) والاتصال الهاتفي، والاتصال الإذاعي، والاتصال التليفزيوني، والاتصال المكتوب.

تؤنس العلامات الموقفية التى تخص كل وسيط على حدة أنواعاً للاتصال، من أهمها: المحادثة المباشرة (وجهاً لوجه)، والمحادثة الهاتفية، والإرسال التليفزيونى، والرسالة، والمقالة الصحفية أو الكتاب.

٢- المعايير البنائية: وتتخذ فى الجانب البنائى المقولتين الموضوعيتين: "موضوع النص Text thema و " الشكل الذى يظهر فيه الموضوع Form der Themenentfaltung" أساسين للتمييز بين أنواع النصوص:

(أ) موضوع النص: ويشتمل على التركيز الزمنى للموضوع، وهو ما يعرف باسم "التوجه الزمنى": ما قبل الكلام، وزمن الكلام، وما بعد زمن الكلام. مثال ذلك الأنواع النصية: الخبر، والبروتوكول ونحوهما. ويشتمل موضوع النص أيضاً على "التوجه المكانى"؛ أى العلاقة بين المرسل والمستقبل، الموضوع:

الموضوع = المرسل

الموضوع = المستقبل

الموضوع = ما يستثنى منه شركاء الاتصال . ومثال ذلك: التعليق الصحفى.

(ب) الشكل الذى يظهر فيه الموضوع: ويميز هنا بين النص الوصفى، والنص السردي، والنص الحجاجى (أو الجدلي). هذه الأشكال الكبرى التى تظهر فيها الموضوعات وثيقة الصلة بوظائفها النصية^(٣).

إذا ميزنا بين الأنواع النصية الثلاثة: الوصفية، والسردية، والحجاجية، على أساس مفهوم "مراكز الضبط Control Centers فى عالم النص، كما فعل دو بوجراند، لرأينا أن مراكز الضبط فى النصوص الوصفية Descriptive هى-فى معظمها- تصورات للشئ والموقف. وهى فى النصوص السردية Narrative تصورات الحدث والعمل، وهى فى النصوص الحجاجية Argumentative قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق. ويغلب أن يكون هنالك تعارض بين القضايا التى تتصادم فيها القيمة لكونها موصوفة بالصدق truth assignment^(٤).

لقد كان من أهم العلل التى أمسكت بها الإسهامات الأولى فى نظرية أنواع النصوص: أن كل نظرية تبحث عن القواعد التى تحكم نصاً بعينه، وتنظر هل هى قواعد يختص بها هذا النوع، أم أنها قواعد مشتركة. ومن أهم تلك العلل أن كلا من علوم اللغة وعلم الأدب معنى بمشكل تحديد أنواع النصوص. ومن ثم، ينهض السؤال عن إمكانيات إسهام المعايير اللغوية فى ظل ذلك المشكل^(٥).

(ب) الحجاج والنص الحجاجى

فى علم اللغة النصى والنظرية الحجاجية المعاصرة عرف الحجاج من زوايا شتى: السمات الموضوعية العامة، أو البنى اللغوية المميزة، أو الغرض البلاغى والوظيفة الاتصالية، أو التقاط سمة أولية مائزة، إلخ. تطول القائمة بالتعريفات إن مضينا مع أدبيات علم اللغة النصى والنظرية الحجاجية، حتى نراها تدنو كثيراً من جوهر الحجاج تارة وتنأى عنه قليلاً تارة أخرى. من أهم التعريفات التى نراها أدنى من غيرها إلى جوهر الحجاج ما يلى:

الحجاج عند أندرسين Andersen ودوفر Dover طريقة لاستخدام التحليل العقلى والدعوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير فى وجهات النظر والسلوك^(٦).

كون الحجاج طريقة من التحليل والتعليل يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين مما تبني عليه تعريفات أخرى عدة، نراها عند روبرت هوبر R. Huber^(١)، وعند كل من ماكبورني McBurney وميلز Mills^(٢)، وعند كل من فيشر Fisher وسايلز Sayles^(٣) وغيرهم.

٢- والحجاج عند بيريلمان Perelman وتيتكا Tyteca طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة^(٤).

والاستمالة أو الموالاة Adherence هي العنصر الأهم الذي بنيت عليه تعريفات أخرى، من أهمها تعريف ريك Rieke وسيلارز Sillars. يعرف هذان الباحثان الحجاج بأنه عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعائم المناسبة بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوى^(٥).

٣- وتبرز تعريفات أخرى كون الحجاج فعلاً لغوياً أو عملية اتصالية أو جنساً من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته، على نحو ما نجد في تعريف أوتس ماس Utz Maas. وديبورا شيفرين Deborah Schiffman، وكل من هاينمان Heinemann وفيهيجر Viehweger:

فالحجاج عند ماس سياق من الفعل اللغوي Handlungszusammenhang تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وإدعاءات مختلف في شأنها. هذه الفرضيات المقدمة في ذلك الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي^(٦).

والحجاج عند شيفرين جنس من الخطاب، تبني فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة، في الوقت نفسه، الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم^(٧).

والحجاج عند كل من هاينمان وفيهيجر عملية اتصالية، هي كل ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعمل الفرضيات والدوافع والاهتمامات^(٨).

تلك نماذج من أهم تعريفات الحجاج، دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى. خلاصة تلك التعريفات: أن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبني على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها التكلم دعواه مدعومة بالتبريرات. عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية.

في ضوء التعريفات السالفة يمكن تحديد الملامح الأولية لطراز النص الحجاجي فيما يلي:

١- العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية logical أكثر من كونها علاقة تصورية perceptual كما هي الحال في النص غير الحجاجي.

ويقصد بالعلاقة التصورية تلك التي تصدر عن تجربة محددة مقيدة بزمن التصور وبحدث التصور. والعلاقة المنطقية علاقة استنباطية invented غالباً، في مقابل العلاقة التصورية المباشرة غالباً في النص غير الحجاجي^(٩).

يبين وليم برانت William Brandt ذلك بأن جوهر الحجاج إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين، ومن ثم يعتمد النص الحجاجي اعتماداً كبيراً جداً على بنية أساسية عند عالم المنطق، وهي بنية القياس المنطقي. وفي الحجاج يرى الحكم على نتيجة القياس حكماً على الحجج المقدمة - من حيث هي علاقة بين منظومات تعبر عن قضايا محددة - بأنها صالحة أو فاسدة، لا حكماً عليها بالصواب أو الخطأ^(١٠).

٢- يبني النص الحجاجي - في شكله الرئيسي - على مكونات ستة، هي: الدعوى (أو النتيجة) Claim، والمقدمات أو تقرير المعطيات Assertion of Data والتبرير Warrant، والدعامة Support، ومؤشر الحال Qualifier، والتحفظات أو الاحتياطات Reservations:

الدعوى نتيجة الحجاج. هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين. تذكر الدعوى صراحة، وقد تُضمّن.

والمقدمات تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث. وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطاً منطقياً، حتى تصلح لتدعيمها.

والتبرير بيان للمبدأ العام الذى يبرهن على صلاحية الدعوى وفقاً لعلاقتها بالمقدمات.

والدعامة كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم إلخ، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

ومؤشر الحال كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق، نحو: من الممكن، من المحتمل، على الأرجح إلخ.

والتحفظات هي الأساس الذى ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية الدعوى^(١٦).

٣- النص الحجاجي نص تقويمي. والقيمة مفهوم يستنبط مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تشيده المجادلات. والقيم - مع الدليل ومصادر معقولة الأشياء - تكون المادة التفاعلية التى يقدر بها الناس الحجاج الذى يستحق منهم الموالاة^(١٧). والقيم من أهم المفاهيم التى يبنى عليها النص الحجاجي عند كل من دو بوجراند de Beaugrande ودرسلر Dresler. ومن المفاهيم الأخرى: العلة، والمعارضة. النص الحجاجي - فى نظر هذين الباحثين - نص موظف لتقوية القبول أو تقويم معتقدات وأفكار^(١٨).

(ج) الحجاج والإقناع

يعرف توماس شايدل Thomas Scheidel الإقناع بأنه محاولة واعية للتأثير فى السلوك^(١٩). ويرى أوستين فريلى Austin Frely الحجاج والإقناع جزءين من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا فى التوكيد Emphasis. يولى الحجاج الدعاوى المنطقية أهمية خاصة. ولكنه يجعل من اختصاصه أيضاً الدعاوى الأخلاقية والعاطفية. أما الإقناع، فإنه ينعكس على التوكيد الذى يبطل ضده^(٢٠).

فى مقابل ذلك يرى كل من هوارد مارتين Howard Martin وكينيث أندرسين Kenneth Andersen أن كل اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنه يبحث عن تحصيل رد فعل على أفكار القائم بالاتصال^(٢١). يبدو أن هذين الباحثين يعنيان بالإقناع هنا معناه العام، وليس الإقناع الحجاجي الذى يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة. يمكن توضيح هذه المسألة بالنظر فى نصوص الخطابة العربية. يكون النص الخطابي نصاً إقناعياً، ولكنه ليس نصاً حجاجياً بالضرورة، لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية. يعنى هذا أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وليس كل نص إقناعي نصاً حجاجياً. يرتبط الإقناع بالحجاج إذن ارتباط النص بوظيفته الجوهرية اللازمة فى محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات.

(د) الحجاج عند العرب

وهو الحجاج والاحتجاج والجدل والجدال والمجادلة. يضرب الحجاج بجذور قوية فى الخطاب العربى. فضلاً عن الدور المهم الذى لعبه الحجاج فى الحياة العقدية والسياسية فى البيئة العربية الإسلامية، وفضلاً عن اعتماد البنية الحجاجية فى الخطاب العلمى البلاغى، على نحو ما نرى فى دفاع عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النظم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة^(٢٢). فضلاً عن كل ذلك، شغل الحجاج بعض القدماء جنساً خاصاً من الخطاب. يمكن أن نقف هنا على محاولتين مهمتين فى دراسة الحجاج لكل من أبى الحسين إسحق بن وهب (ت ٣٣٧هـ) وحازم القرطاجنى (ت ٦٨٤هـ).

يمكن تصنيف خلاصة فكر ابن وهب في "الجدل والمجادلة" في النقاط الرئيسية التالية:

١- قدم ابن وهب تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية: "وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتنصل في الاعتذارات" (٣٣).

٢- الجدل- فيما يفهم من كلام ابن وهب- خطاب تعليلي إقناعي: فالجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسئول عنها (٣٤). وينبغي للمجيب إن سئل أن يقنع، وأن يكون إقناعه الإقناع الذي يوجب على السائل القبول. وإذا كان الفلج في الجدل إظهار الحجة التي تقنع، فالغالب هو الذي يظهر ذلك (٣٥).

٣- إذا كانت مقامات الجدل مقامات اختلافات وخصومات ونحوها، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات، بل هو أوجبها. وليس التمييز بين جدل محمود وجدل مذموم- فيما نفهم من كلام ابن وهب- إلا تمييزاً ينظر فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه. الجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصدق. والجدل المذموم ما أريد به الماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة (٣٦). إذا كان القصد هو الحق والصواب، وجب على المجادل "ألا تحمله قوة إن وجدها في نفسه، وصحة في تمييزه، وجودة خاطره، وحسن بديهته، وبيان عارضته، وثبات حجته، على أن يشرع في إثبات الشئ ونقضه، ويشرع في الاحتجاج له ولضده، فإن ذلك مما يذهب ببهاء علمه، ويطفئ نور بهجته، وينسبه به أهل الدين والورع إلى الإلحاد وقلة الأمانة" (٣٧).

والحق أن كثيراً مما اشترطه ابن وهب في "أدب الجدل" ينبغي له أن يعزى إلى ذلك الاعتبار الأخلاقي. ومن أهم ما اشترطه:

(أ) أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبز.

(ب) ألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه، حتى يفضى بذلك إلى نصحاء.

(ج) أن يكون منصفاً غير مكابر، لأنه إنما يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصده بقوله وحجته.

(د) ألا يستصغر خصمه ولا يتهاون به، وإن كان الخصم صغير المحل في الجدل (٣٨).

٤- مما ذكره ابن وهب في مبحثي "الجدل والمجادلة" و"أدب الجدل" ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور "الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية". من أهم ذلك:

(أ) أن يبني المجادل مقدماته مما يوافق الخصم عليه (٣٩).

(ب) أن يصرف همهته إلى حفظ النكت التي تمر في كلام خصمه مما يبني منها مقدماته، وينتج منها نتائجها، ويصحح ذلك في نفسه، ولا يشغل قلبه بتحفظ جميع كلام خصمه فإنه متى اشتغل بذلك أضاع ما هو أحوج إليه منه (٤٠).

(ج) ألا يقبل قولاً إلا بحجة، ولا يردده إلا لعل (٤١).

(د) ألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادر بالجواب قبل تدبره، واستعمال الروية فيه (٤٢).

(هـ) ألا يشغب إذا شاغبه صاحبه، ولا يرد عليه إذا أربى في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع ذلك لوضع الحجة في موضعها؛ فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب (٤٣).

(و) أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج في خطابهم عما توجبه أوضاع الكلام (٤٤).

٥- قول ابن وهب "إن الجدل إنما يقع في العلة" (٤٥)، مطابق لما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة. في هذه النظرية الكائنات البشرية صانعة علة Reason-Makers ومستخدمة علة Reason-Users. الوقوف على كيفية صناعة الناس العلل واستخدامها هو الوسيلة الضرورية

لبيان عملية تطوير الدعاوى ومنح الموالاتة. وإذا كانت العلة في جوهرها هي ما يقدم رداً على السؤال "لماذا"، فإن العلة المقنعة هي العلة في أن المستمع يمنح موالاته^(٣٧).

أما حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ)، فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في "التخيل والإقناع" موصولاً بموضوعنا، الأمران التاليان:

١- تمييزه بين جهتين للكلام.

٢- تمييزه بين طريقتين لإقناع الخصم.

في تمييزه بين جهتين للكلام يقول حازم: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"^(٣٨).

لعل لفظ "الجهة" يعني- في سياقه- طريقة إظهار الموضوع. ولعل تمييز حازم بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال، يعدل ما رأيناه في نظرية أنواع النصوص من تمييز بين النوعين السردى والحجاجى.

أما "التمويهات والاستدراجات"، فهي من الاستراتيجيات الحجاجية المهمة. لم يكن حازم أول من فطن إلى هذا الاستدراج. كان ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) قد سبق إلى استخراج هذه الاستراتيجية من النص القرآنى. الاستدراج عند ابن الأثير "مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال"^(٣٩). وهو عنده "استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"^(٤٠).

إضافة حازم في ربطه التمويهات والاستدراجات بالطبع والحنكة معاً من ناحية، وفي تمييزه بين التمويهات والاستدراجات من ناحية أخرى: يقول حازم: "التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التى يحتاج فيها إلى تقوية الظنون فى شئ ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات فى ذلك والتدرب فى احتذائها"^(٤١).

وفي تمييزه بين هاتين الاستراتيجيتين يقول حازم: "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيتته وتقريظه، أو باطباته إياه لنفسه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولاً عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول"^(٤٢).

جدير بالإشارة هنا أن باسل حاتم كان قد وقف على استراتيجية فى الحجاج المضاد Counter argumentation تعرف فى التقليد البلاغى الغربى باسم "لعبة الولاء الكاذب Strawman Gambit"، وذلك من ذكره ابن وهب (وإن كان باسل حاتم قد نسب كلام ابن وهب خطأ إلى قدامة بن جعفر فى قوله: وحق الجدل أن تبني مقدماته بما يوافق الخصم عليه". يقول باسل حاتم: "لما كان قصد المجادل هو أن يقود خصمه إلى قبول الدليل المطروح، فإن عرض الدليل الذى يؤخذ من قول الخصم نفسه، سوف يصبح - على نحو مؤكد - الطريقة الأعظم تأثيراً فى إنجاز غايات المجادل. يعنى المؤلف بالإشارة أن ذكر كلام الخصم، ليس بخلو جملة من دوافع خفية: فمنتج النص يذكر كلام خصمه على نحو لا يفصح اعتقاده الراسخ فضحاً شديداً، حتى يجعل دفاع الخصم اللاحق عن موضوعه غير مؤثر. من ثم، يعرض محتوى الاقتباس من قوله فى جو من الرفض المراءى. حتى يفصح ثرثرته الفكرية"^(٤٣).

٢- النصوص المختارة ومكونات البنية الحجاجية

تبني الدراسة التطبيقية التالية على سبعة عشر نصاً حجاجياً: خمسة نصوص قديمة والأخرى من العصر الحديث. تختلف هذه النصوص فى موضوعات الحجاج: موضوعات اجتماعية ومكاتبات رسمية، وموضوعات دينية، وفكرية، وأدبية، وسياسية. ومن تلك النصوص ما تمتاز

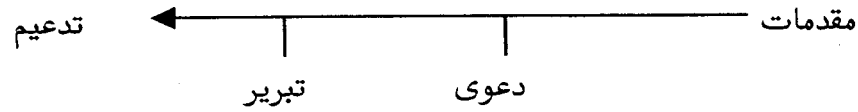
فيها الموضوعات وتتداخل؛ كالحجاج السياسي من منظورات دينية. أصحاب تلك النصوص مختلفون في أساليبهم ومشاربهم الثقافية ومنطلقاتهم الفكرية. يعطى ذلك كله فرصة أكبر لاستقاء معلومات أوفر عن تفاوت البنى الحجاجية بين تلك النصوص على نحو أو آخر، كما يفسح المجال لاستكشاف الوسائل المختلفة التي توسلت بها للإقناع والاستمالة.

وفيما يلي توصيف عام للنصوص المختارة ومكوناتها الحجاجية:

١- من قصة الكندي: احتجاج الكندي ليخله (من قوله: تسمون من منع المال- إلى قوله: يجعل حظ الموسر أكثر وإن كان في كل شئ فوق أصحابه): (كتاب البخلاء للجاحظ ص ٧٨-٨١):

الدعوى (مذكورة): المال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه، وإنفاقه هو إتلافه.

شكل الحجاج:

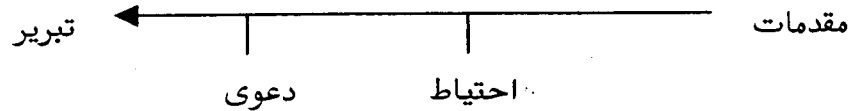


٢-٤ ثلاثة نصوص من رسائل إخوان الصفا:

النص ٢: في بيان أسباب اختلاف العلماء في الإمامة (٣٠/٤-٣٤).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): جمع محمد ﷺ خصال النبوة وخصال الملك.

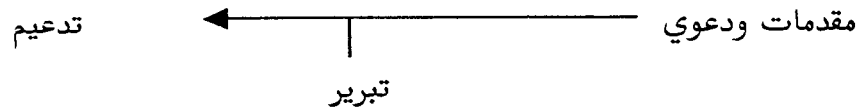
شكل الحجاج:



النص ٣: بعض أخلاق الملوك مضادة لخصال النبوة (٣٤/٤).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): هي الدعوى السابقة.

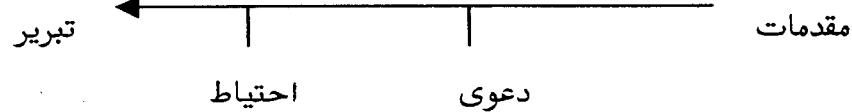
شكل الحجاج:



النص ٤: في مسألة الجبر (٣٥/٤-٣٦).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): ليس أحد من المخلوقين بقادر على شئ من الأشياء ولا عمل من الأعمال إلا ما أقدره الله عليه.

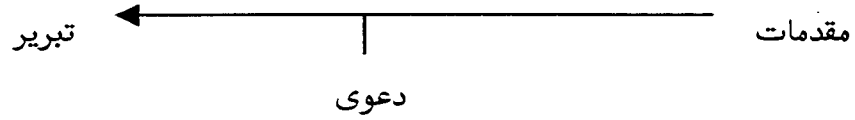
شكل الحجاج:



٥- كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم (جمهرة رسائل العرب ٤١٤/٤-٤٢٥).

الدعوى (مضمنة): الإخشيد لا تقصر منزلته عن منزلة من يكتابه: أرمانوس.

شكل الحجاج:

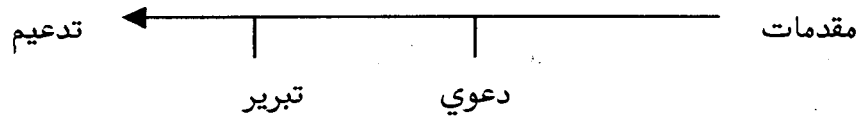


٧-٦ : نسان لظه حسين من كتابه (حديث الأربعاء، ج٣):

النص (٦): القديم والجديد (٣١/٣-٣٦).

الدعوى (مذكورة): ليس للقديم أنصار؛ أى أن أنصار القديم ليسوا مخلصين فى نصرهم للقديم، أو أنهم يخدعون أنفسهم، م حين يظنون أنهم ينصرونه.

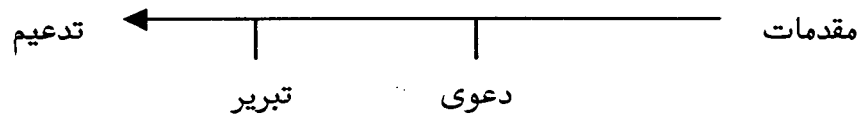
شكل الحجاج:



النص (٧): أحسن إلى وأنا مولاك (١٢٥/٣-١٣٠).

الدعوى (مذكورة): فلسفة الرافعى فى الجمال والحب (فى كتابه: "رسائل الأحزان فى فلسفة الجمال والحب") لا تفهم ولا تدل جملتها على شئ.

شكل الحجاج:

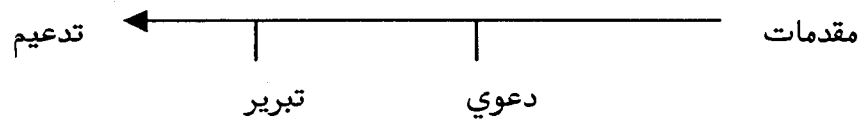


٩-٨ : نسان لعباس محمود العقاد من كتابه (الفصول):

النص (٨): الغزل الطبيعى (ص٩٤-١٠١).

الدعوى (مذكورة): العشق فى طبيعته الأولى بعيد عن الرفق والسلاسة.

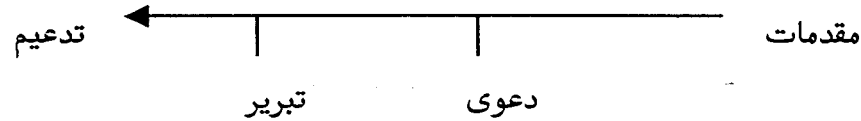
شكل الحجاج:



النص (٩): الأدب العصرى (ص١٠١-١٠٨)

الدعوى (مذكورة): التقدم فى الأدب تقدم فى الإحساس بالأشياء على ما هى عليه.

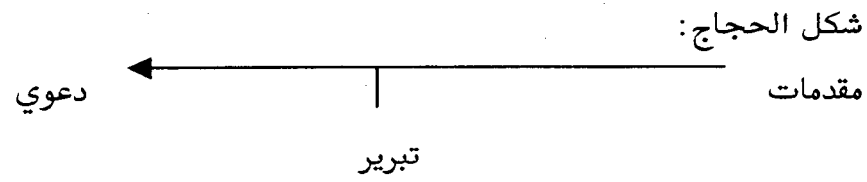
شكل الحجاج:



١١-١٠ : نسان لإبراهيم عبد القادر المازنى من كتابه (حصاد الهشيم):

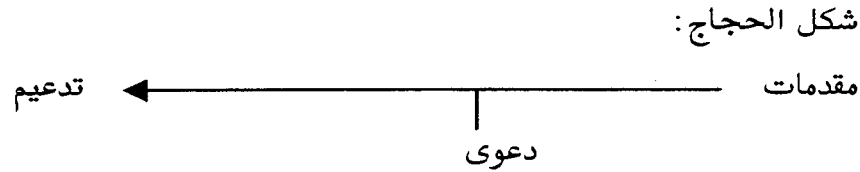
النص (١٠): الأدب ينهض فى عصور المشادة لا عصور اللين والأمن (ص٤٧-٥١).

الدعوى (مضمنة): العنوان السابق، هو الدعوى المضمنة والتي استخرجها الكاتب بنفسه، عنوانا لمقاله.



النص (١١): القدمات والمحدثون (٢٢٣-٢٢٩).

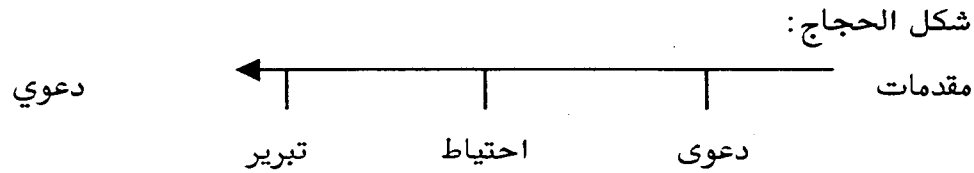
الدعوى (مضمنة): القدمات يتميزون بالبساطة.



١٣-١٢: نسان لخالد محمد خالد من كتابه (دفاع عن الديمقراطية):

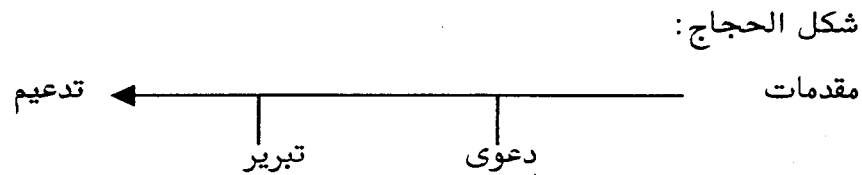
النص (١٢): تجربتنا مع الديمقراطية. (ص٣٠-٤١).

الدعوى (مضمنة): كان للديمقراطية وجود في بلادنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.



النص (١٣): قضية تنتظر الفهم الصحيح (ص١٧٥-١٨٩).

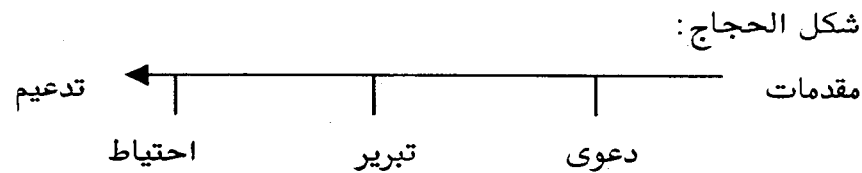
الدعوى (مذكورة): الإسلام دين ودولة.



١٥-١٤: نسان لمحمد زكى عبد القادر من كتابه (الله فى الإنسان):

النص (١٤): التعدد فى حياة الإنسان (ص١١-١٥).

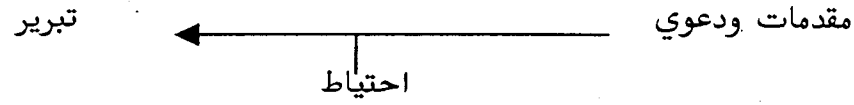
الدعوى (مذكورة): حياة الإنسان عملية معقدة متعددة.



النص (١٥): من الألم ينبع كل شئ عظيم (ص١٤٨-١٥٣).

الدعوى (مذكورة): من الألم ينبع كل شئ عظيم.

شكل الحجاج:

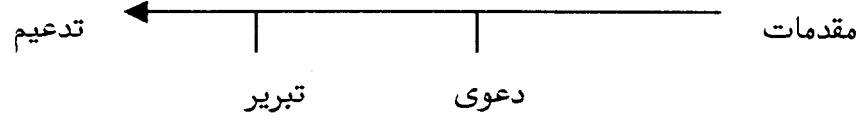


١٦-١٧: نسان للدكتور مصطفى محمود:

النص (١٦): الحب القديم (من كتابه "الإسلام في خندق" ص ٧-١٣).

الدعوى (مذكورة): الدين - في حقيقته - هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا.

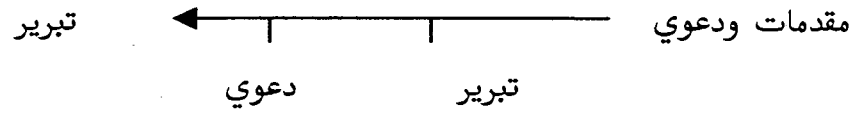
شكل الحجاج:



النص (١٧): أنشودة الأمل (من كتابه "كلمة السر" ص ١٥-١٩).

الدعوى (مذكورة): الدنيا لم تعد هى الدنيا ولا الناس هم الناس.

شكل الحجاج:

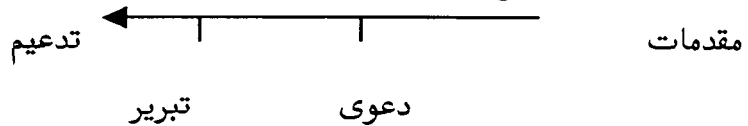


تأمل النصوص المختارة وأشكالها الحجاجية يتيح لنا استنتاج ما يلى:

١- الشكل الأشيع للنص الحجاجى العربى المكتوب هو النص الذى يبدأ بالمقدمات فالدعوى فالتبرير. وربما اقتصر النص على ذلك كما رأينا فى النص الخامس. ولكنه فى أكثر الحالات يتجاوز تلك العناصر الثلاثة إلى التدعيم، وفى حالات غير قليلة يتجاوزها إلى الاحتياط والتدعيم جميعاً.

٢- المؤلف أن يبدأ النص الحجاجى بالمقدمات. ولكن يندر جداً أن تشغل الدعوى الموقع المؤلف للمقدمات، وهذا ما لم نره إلا فى نصين اثنين: أحدهما قديم لإخوان الصفا (النص ٣). والآخر معاصر لمصطفى محمود (النص ١٧).

٣- الشكل الحجاجى الأشيع فى النص العربى هو الشكل التالى:



وهو شكل يتسم بالمنطقية التى تعد أس الحركة الحجاجية المتنامية مترابطة العناصر. ترتبط الدعوى منطقياً بالمقدمات. ويحرص الكاتب لجعل خطابه مقنعاً ومستميلاً على التبرير والتعليل. ويستخدم دعائم لا يخفى ثراؤها.

٤- ربما اتخذت الدعوى فى النصوص الحجاجية المعاصرة عنواناً للنص. يعكس هذا - على الأقل - وعى الكاتب القوى بقضيته التى يدافع عنها.

٥- ربما ضمنت الدعوى، ولكنها تذكر فى أكثر الأحيان فى هيئة منطوق واحد أو أكثر.

٦- يبني النص الحجاجى عادة على دعوى رئيسية واحدة، سواء أكانت مذكورة أم مضمنة. ويلاحظ هنا أن الكاتب يعبر أحياناً عن هذه الدعوى الواحدة فى أكثر من موضع من النص. هذا ما تجده مثلاً فى النص ١٧ (أنشودة الأمل للدكتور مصطفى محمود). وفى هذا النص ذكرت الدعوى

فى أوله : "الدنيا لم تعد هى الدنيا ولا الناس هم الناس". (كلمة السر ص ١٥)، ثم ذكرت مرة أخرى بعد التبرير فى تغيير صياغى طفيف: "إنها الدنيا لم تعد هى الدنيا، والناس ما عادوا هم الناس الذين تعرفهم" (كلمة السر ص ١٦).

٧- فى أكثر الحالات يلحق الكاتب تبريره بالتدعيم، والتدعيم- فى أكثر الحالات- أدلة منطقية وشواهد وأمثلة تدعم صحة الدعوى. الدعوى نتيجة الحجاج. هى المقولة التى تقدم لاستمالة الآخرين. قد تذكر وقد تضمن. هى مقولة شاملة أحياناً، وتكيف درجة عمومها أحياناً أخرى. من عبارات التكييف: من الممكن، من المؤكد إلخ. فى حالات غير قليلة، يدخل الاحتياط إلى الحجاج، حتى يكون أساساً للقول بمقبولية الدعوى أو عدم مقبوليتها. والتبرير إبانة عن المبدأ العام الذى يبرهن على صلاحية الدعوى فى علاقتها بالمقدمات. ويدعم التبرير الدعامة (أو التدعيم). والتدعيم كل مادة يقدمها المجادل ليزيد من تصديق المخاطب لمقدماته وتبريره؛ ومن ذلك - كما أشرت- الأدلة المنطقية، والشواهد الخاصة، والإحصاءات إلخ. وغنى عن البيان أن مقدمات الحجاج مكون أساسى، من حيث إنها تقارير عن أناس، أو أحوال، أو أفعال. وينبغى لها أن تصلح لبلوغ الدعوى.

٨- قد تتفرع عن الدعوى الرئيسة دعوى ثانوية. فى النص ١٥ ("من الألم ينبع كل شئ عظيم" لمحمد زكى عبد القادر) تفرعت عن الدعوى الرئيسة دعوى ثانوية هى قول الكاتب: "للألم إذن فى حياتنا معنى وقيمة" (ص ١٥٢). وهى دعوى ثانوية لسببين: (أحدهما) أن التبرير فى النص ينصرف إلى الدعوى الرئيسة.

و(الآخر) أن محور الدعوى الثانوية هو نفسه، محور الدعوى الرئيسة، وهو "قيمة الألم". لو لم تكن الدعوى الرئيسة: "من الألم ينبع كل شئ عظيم"، ما كانت الدعوى الثانوية "للألم فى حياتنا معنى وقيمة".

٩- إثبات الكاتب صحة رأيه أو معتقده بإزاء رأى الآخر أو معتقده وسيلته للتدعيم. وللتدعيم وجوه ثلاثة: التدعيم بالدليل Evidence، والتدعيم بالقيمة Value، والتدعيم بالمصادقية Credibility.

(أولاً) التدعيم بالدليل: موقف الحجاج الأبسط والأشيع هو - كما يذكر ريك وسيلارز - تقديم إفادة Statement تحظى بموالاتة المخاطب. وربما طور المخاطب الحجاج بسؤال أو بدعوى مضادة:

• المتكلم: لا تخف هنا على سيارتك! المخاطب: ولماذا؟

• المتكلم: الجو حار اليوم! المخاطب: لكنه ليس حاراً كالأمس^(٢٢).

ولكن الكاتب يطور حجاجه بإضافة مادة مدعمة لدعواه على نحو يجعل القارئ موالياً لتلك الدعوى، وهو ما يسمى بالدليل.

فى النص الحجاجى العربى، نرى للمادة المدعمة أو الدليل أنماطاً شتى، من أهمها:

(أ) أدلة تاريخية: وهى من التاريخ الأدبى فى حجاج أدبى المحور (كما نرى فى نصى المازنى).

(ب) شواهد خاصة: وذلك كأحدوث "الخرسوس" التى يرويها طه حسين (فى مقاله: القديم والجديد ص ٣٢) عن الشيخ المهدي، وكان يخاطب بائع الشراب بما لا يفهمه. أراد طه حسين الاستدلال بهذه الأحدث على ما يقع فيه بعض أنصار القديم من تكلف لغة لا تناسب عصرهم.

وهناك نوع خاص من الشواهد الخاصة، يسميه ريك وسيلارز باسم "المثال الافتراضي أو النظري Hypothetical example"، وهو الذى يستخدم عندما لا تصلح الأمثلة الحقيقية real examples^(٤٣).

لعل من هذا النوع ما نجده عند طه حسين بخاصة. وأسوق نموذجاً على ذلك قوله فى سياق تمييزه للرافعى بين النقد والثناء الخالص: "كن عاقلاً، واعلم أن الثناء الخالص الذى لا يشوبه النقد، إنما هو كالماء أذيب فيه كثير من السكر، وتوشك إن أسرفت فى شربه أن يأخذك الغثيان. وخير لك وأصلح لصحتك أن تضيف إلى هذا الماء والسكر عنصراً ثالثاً يحول بينك وبين القى. فما كان لك ولا للناس نفع قليل أو كثير فى أن تقى لهم من حين إلى حين رسائل أحزان أو شيئاً يشبه رسائل أحزان"^(٤٤).

ويعى كاتب الحجاج أثر الشواهد والأقيسة وضرب الأمثال فى دعم دعواه. وهو يعبر عن ذلك تعبيراً فى حالات غير قليلة. من النصوص المختارة ما نرى فيها ذلك؛ كقول إخوان الصفا: "وعلى هذا القياس"^(٤٥)، أو "وعلى هذا المثال"^(٤٦). ومن ذلك أيضاً قول المازنى: "والآن، فلنسق لك الأمثال لتوضيح ما نعنى"^(٤٧).

جدير بالإشارة أن بعض القدماء قد التفتوا إلى علاقة المثل بالحجاج، ومنهم ابن وهب. يقول ابن وهب عن ضرب الحكماء والعلماء والأدباء للأمثال: "وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها"^(٤٨). ويقول: "المثل مقرون بالحجة"^(٤٩).

ويشرح مقولته هكذا: "ألا ترى أن الله - عز وجل - لو قال لعباده: "إني لا أشرك أحداً من خلقتى فى ملكى، لكان ذلك قولاً محتاجاً إلى أن يدل على العلة فيه. ووجه الحكمة فى استعماله، فلما قال: (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)" ((الروم ٢٨) كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به من أنه لا شريك له فى ملكه من خلقه؛ لأنهم عالمون بأنهم لا يقرون أحداً من عبيدهم على أن يكون فيما ملكوه مثلهم، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه، فالله - عز وجل - أولى بأن يتعالى عن ذلك"^(٥٠).

(ب) التدعيم بالقيمة: والقيمة مفهوم يستخرج مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تبنيه المجادلات. فى ضوء دراسة ريك وسيلارز للتدعيم بالقيمة، يمكن أن نرى الملامح التالية للتدعيم بالقيمة فى الخطاب الحجاجى العربى:

(أولاً) القيمة معيار للقول بالجودة أو الرداءة. قد تذكر القيمة، وقد تضمن، ولكن تضمينها يقع فى حالات كثيرة جداً:

- من تضمين القيمة عند تدعيم التعليل، ما نراه فى غير موضع من نصوص طه حسين بخاصة، كقوله: "وما رأيك فى رجل يفلسف فى الجمال والحب، أى يضع نفسه، بين الفلاسفة، بل بين كبار الفلاسفة، فلم يفلسف منهم فى الجمال والحب إلا قليل. ثم لا تمنعه فلسفته أن يكون طفلاً، فيتحدانى ويطلب إلى أن أكتب كتاباً ككتابه، أو كفصل من كتابه، أستغفر الله"^(٥١).

يعول الكاتب فى تدعيمه هنا على قيمة صدق الكاتب/ الإنسان مع نفسه، فى الفعل، وهو يعتمد على قدرة المخاطب على تعيين هذه القيمة المضمنة من خلال سياق الحجاج السابق.

- ومن التصريح بالقيمة قول خالد محمد خالد: "ولا جدال فى أن قضايا السياسة ومشكلاتها ومتطلباتها فى الذروة من دواعى الاهتمام وحوافز المشاركة. فأى مسلم يعطى لهذه

الاهتمامات ولتلك المشاركة ظهره يكون قد حق عليه قول الرسول الكريم "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" ^(٥٢).

القيمة المصرح بها هنا هي قيمة اهتمام المسلم الحقيقي بقضايا السياسة، وهي وسيلة الكاتب في تدعيم تبريره دعوى كون السياسة في الإسلام عبادة.

(ثانياً): تحدد النظرية الحجاجية المعاصرة للقيمة نمطين اثنين: القيمة الوسيطة instrumental value والقيمة الغاية terminal value. الأولى تضع إفادة عما هو ذو قيمة. والأخرى توجه الناس إلى الوضع الذي يتغياها المتكلم ^(٥٣).

يبدو من تأمل عينات الدراسة أن خطاب الحجاج العربي يميل إلى القيمة الغاية ميلاً أقوى. وهذا أمر مهم؛ وذلك أن القيمة الغاية أقوى تأثيراً في الحصول على مستوى من الموالاة adherence يجعل المستقبلين يغيرون من سلوكهم.

من النمط الأول قول العقاد: "ونعتقد أنه ليس أعون لنا على فهم طبيعة العشق الصادق من الالتفات إلى نقطة واحدة: وهي علة استئثار الرجل بالغزل دون المرأة" ^(٥٤). ومن النمط الثاني قوله: "وإنما الحرى بأن يدعى تقدماً مثمراً التقدم في الإحساس بالأشياء على ما هي عليه" ^(٥٥).

(ثالثاً): يعتمد خطاب الحجاج العربي في تدعيم التبرير اعتماداً جوهرياً على القيم التي يكون فيها تمسك الناس بها قوياً أو التي تتسم بالشمولية بسبب موالاة كثير من الناس لها. مثال ذلك "قيمة التغير" التي يعتمد عليها طه حسين في قضية "القديم والجديد"، أو "قيمة الجمع في الإسلام بين الدين والدولة" التي اعتمد عليها خالد محمد خالد في دفاعه عن الديمقراطية، وهي قيمة تكسب موالاة نسبة كبرى من الناس، أو "قيمة الحب" التي اعتمد عليها مصطفى محمود في الكشف عن المفهوم الحقيقي - من وجهة نظره - للدين.

القوة والشمولية من العوامل المساعدة على تعيين القيم السائدة في حضارة أو مجتمع. في خطاب الحجاج العربي، نرى عاملاً آخر مهماً؛ هو منزلة الأشخاص الذين يدعمون هذه القيمة أو تلك. إن اقتناع القارئ وإعطاءه موالاته لمثل قول مصطفى محمود: "وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة إلى روح الإسلام وإلى نبعه الشامل إلى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم" ^(٥٦)، الاقتناع والموالاة يعتمدان على منزلة الشخصية التي تدعم قيمة ما تطالب به الناس، خاصة أنها صادقة في مطالبتها، وأنها بريئة فيما تطالب به من أى نفع أو مصلحة خاصة.

(ج) التدعيم بالمصادقية: والمصادقية عامل مهم في الحجاج. في ضوء تحديد ريك وسيلارز لأنواع المصادقية ^(٥٧)، يمكننا أن نستنبط من نصوصنا الحجاجية المختارة ما يلي:

(أولاً): قلما يلجأ الكاتب إلى المصادقية المباشرة؛ وذلك أنه قلما يقدم عن نفسه، إفادات مباشرة قصد زيادة قابليته للتصديق، إنما يصرف همه - في المقام الأول - لالتماس العلل المقنعة. كان أكثر كتاب عينات الدراسة اعتماداً على المصادقية المباشرة طه حسين وخالد محمد خالد. يؤكد طه حسين للرافعي نزاهته في نقده قائلاً: "ولقد نقدت الناس من قبل الرافعي فلم أصانعه ولم أرفق بهم" ^(٥٨).

ويقول خالد محمد خالد في سياق احتجاجه لحاجتنا إلى الديمقراطية وترحيب الإسلام بها: "واعلموا يا من تطالعون هذه السطور أنني - والحمد لله - في هذه القضية بالذات برئ الصدر من الغرض، فلا أنا صاحب حزب، ولا عضو في حزب، وليس في نيتي أن أكون كذلك.. ثم وإنني إن مارست السياسة "فكراً" فإنني لا أمارسها "عملاً"، ومن ثم فلا مطمح لي مهما ضؤل في أن أكون عضواً في برلمان، ولا عضواً في وزارة، ولا رجلاً من رجال السياسة، ولا الهواة منهم ولا المحترفين" ^(٥٩).

(ثانياً): اعتماد الخطاب الحجاجي العربي على المصادقية الثانوية (وهي التي تتأتى من ربط مصادقية شخص آخر بالحجاج) أقوى كثيراً جداً من اعتماده على المصادقية المباشرة. ربما يرجع هذا إلى أن كاتب الحجاج العربي يتجأنف عن أن يقدم عن نفسه، إفادات تاركاً ذلك لنص الخطاب وفهم المخاطب.

أمام مصادقية الآخر هنا فجلّها للرسول في حديثه، أو الحكماء في أقوالهم (مثل هذا الذى روى عنه محمد زكى عبد القادر أنه لما سئل: من معلمك فى الحياة؟ فقال: الألم^(١١)) أو ذوى الخبرة فى شأن؛ كالكندى فى شأن البخل والحرص على المال، حينما استدل إسماعيل بن غزوان بكلامه على حكمته وحضور حجته^(١٢).

(ثالثاً): من الطبيعي أن يكون اعتماد الخطاب الحجاجي العربي على المصادقية المباشرة أقوى من الاعتماد على النوعين السابقين جميعاً، وذلك أن المصادقية المباشرة تصدر عن تطوير المتكلم حجاجه بطريقة ما تجعله قابلاً لأن يصدق. الكاتب هنا صاحب الحجاج، وهو الذى يطرده بكلام له هو فى الأساس.

(رابعاً): ومما يؤثر فى مصادقية الخطاب ما يعرفه المستقبل عن مصدره. يميل الناس إلى تصديق من يرونهم أكفاء وأمناء. فى ضوء خلاصة بحث المصادقية فى النظرية الحجاجية المعاصرة التى قدمها ريك وسيلارز فى أربع عشرة مسألة، يمكن أن نستنبط من نصوص الدراسة ما يلى:

١- يتمتع أصحاب تلك النصوص جميعاً بكفاءة حجاجية فى صناعة العلل وبأمانة فى عرض موضوع الحجاج.

٢- أصحاب تلك النصوص جميعاً من الرجال. ويلاحظ أن قابلية تصديق الرجال أقوى من قابلية تصديق النساء، يستثنى من هذا بالطبع أن تكون المرأة جذابة جسدياً وعقلياً.

٣- سمعة أصحاب تلك النصوص مناسبة لطبيعة خطابهم الحجاجي، فكل منهم من أهل الاختصاص فى مجال حجاجه الموضوعي.

٤- للإفادات التى قدمها بعضهم عن ذاته، على نحو ما رأينا عند طه حسين وخالد محمد خالد، أثر فى زيادة قابلية تصديقهم.

٥- لا يستطيع مستقبلي تلك النصوص الحكم على سلامة نية أصحابها، ولكن نسيج النصوص اللغوي وسياقاتها التاريخية والحضارية تبرهن على سلامة نية أصحابها؛ فالغاية تعيين الحقيقة على حسب ما يرونه - أكثر من إحراز نصر على خصم أو معارض.

٦- لا شك أن أصحاب تلك النصوص يستندون فى مصادقيتهم إلى التحقق - إلى حد ما - من كنه قيم قرائهم أو مستمعيهم أو طائفة منهم على الأقل.

٧- مصادر التدليل الأقوى سلطة تزيد من المصادقية. نرى ذلك مثلاً فى المقارنة بين النص القرآني والمثل.

٨- جودة تنظيم الخطاب تزيد من المصادقية. وهذه السمة مشتركة بين جميع عينات الدراسة، على تفاوت فيما بينها. وهو تفاوت يبدو مثلاً من مقارنة نص رسالة الإخشيد بنص لمصطفى محمود.

٩- يبدو أن تدفق العبارة فى نصوص مصطفى محمود مثلاً، وإخراجها فى هيئة صرخات عالية متعاقبة خالية من التكلف أو التأنق فى نظام السبك، تزيد - فيما نرى - من مصادقيته.

١٠- وتشارك نصوص الدراسة فى سمة أخرى، هى أنها تبني جميعاً على لغة غير متعنتة، ولا يظهر فيها تشبث المتكلم برأيه، مما يزيد من مصادقيتها وحركيتها. وتناهى وفرة أساليب القصر

ودوال الاعتقاد فى نصوص كاتب كالعقاد، تنأى - فيما أحسب - عن أن تكون مظهراً لتعنّت أو تشبث بالرأى؛ وذلك أنها - بالأحرى - سمة أسلوبية تسمح بها العربية آليّة للتعبير عن وثوق المتكلم بمعتقدده قبل مستمعيه.

٣- وسائل الإقناع

يمكن التمييز بين نوعين من وسائل الإقناع فى النص الحجاجى العربى، وهى: الوسائل المنطقية - الدلالية، والوسائل اللغوية. ولا شك فى أن التفاعل بين تلك الوسائل جميعاً وأنماطها المختلفة فى أداء الوظيفة الإقناعية هو الأمر الطبيعى. وليست معالجة كل نوع منها على حدة إلا قصداً إلى بيان صوره وهيئاته البنائية والدور الخاص الذى يشغله فى تلك الوظيفة العامة.

(أ) الوسائل المنطقية - الدلالية:

العلاقات النصية التى يقيمها سياق النص الحجاجى - من خلال عرضه على مفهوم النص العام - هى علاقات الدعوى أو النتيجة. ويشترط - من المنظر الدلالى - أن يرتبط بمحتوى المقدمات^(١٢). ويمكن أن نميز فى النص الحجاجى العربى بين الوسائل المنطقية - الدلالية التالية:

١/ القياس المنطقي

القياس المنطقي بنية أساسية فى كل خطاب حجاجى، ومن ثم يعيره الباحثون الاهتمام الأكبر. فى البيان الأول من برهان ابن وهب، وهو الاعتبار، يذكر القياس. القياس فى اللغة: التمثيل والتشبيه. ولا يجب القياس إلا عن قول متقدم، فيكون القياس نتيجة ذلك. ربما كان هذا القول فى اللسان العربى مقدمة أو مقدمتين أو أكثر على قدر ما يتجه من أفهام المخاطب. ولا يجب قياس عند المناطقة إلا عن مقدمتين. لإحداهما بالأخرى "تعلق"^(١٣).

ويرى إخوان الصفا أن وضع العقلاء للقياسات يصير داعياً إلى طلب الحجة عند خصمائه، ويكون سبباً لغوص النفوس فى طلب المعانى الدقيقة ووضع القياسات واستخراج النتائج، وتكون سبباً ليقظة النفوس، وانتباهها لها من السهو^(١٤).

أهم ما فى كلام ابن وهب إشارته إلى التعلق بين المقدمتين فى القياس، وارتباط عدد المقدمات بقدر ما يتجه من أفهام المخاطب. أما أهم ما فى كلام إخوان الصفا، فهو أثر القياس فى يقظة النفوس وانتباهها. المخاطب مؤثر فى بنية القياس ومتأثر به فى آن معاً. التعلق بين المقدمات للوصول إلى نتائج والتركيز على المخاطب أو المستمع هما الأمران الأهم فى مبحث القياس المنطقي فى النظرية الحجاجية المعاصرة؛ فالقياس المنطقي Syllogism وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال Statements. فى القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطاً بالآخر عن طريق تعليقيهما بقول ثالث يمثل طبقة من الموضوعات أو المفاهيم أعلى من القولين الآخرين. وما ينتج عن ذلك هو "المعادل الحجاجي argumentative equivalent" لما يسمى بـ "الاستدلال deduction" عند المناطقة^(١٥).

يفهم القياس المنطقي فهماً أفضل فى ضوء تأمل كيفية فهم عالم المنطق له. القياس المنطقي التقليدى هكذا:

كل الناس فانون

سقراط إنسان

سقراط فان

لهذه البنية ثلاثة أقوال: الأول المقدمة المنطقية الكبرى major premise والثانى المقدمة المنطقية الصغرى minor premise. والثالث النتيجة Conclusion. ليس المعول عليه العدد؛ فلا بد لبناء قياس منطقي من وجود تعلق دلالى منطقي بين الأقوال الثلاثة، وذلك بأن تكون المقدمة

الصغرى منضوية تحت الطبقة أو المفهوم الذى تقدمه المقدمة الكبرى، وهو ما يتضح من القياس التقليدى السابق.

وظيفة القياس المنطقى فى الخطاب الحجاجى هى الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب — أى المقدمة الكبرى — إلى ما هو مشكل، أى إلى النتيجة. يقول وليم برانت: "إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج — إذ ذاك — سدى"^(١٧).

يدلنا فحص عينات الدراسة على أن القياس المنطقى من البنى المنطقية — الدلالية المهمة فى النص الحجاجى العربى، ولعله الأهم على الإطلاق.

من أمثلة القياس المنطقى فى تلك العينات ما يلى:

• يقول الكندى فى سياق احتجاجه لبخله: "فالمال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه، وإنفاقه هو إتلافه، وإن حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب"^(١٨).

يمكن تصوير القياس المنطقى فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبرى): الحسرة لمن أتلّف المال.

(المقدمة الصغرى): إنفاق المال هو إتلافه.

(النتيجة): الحسرة لمن أنفق المال.

• ويقول إخوان الصفا فى سياق الاحتجاج للعلاقة بين خصال النبوة والإمامة والملك: "والكلام فى خصال الإمامة قبل معرفة خصال النبوة وقبل معرفة خصال الملك وشرائطه والفرق بينهما كلام على غير أصله. وكل كلام على غير أصل هذيان لا تحقيق له"^(١٩).

يمكن تصوير القياس المنطقى فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبرى): كل كلام على غير أصل هذيان.

(المقدمة الصغرى): الكلام فى خصال الإمامة قبل كلام على غير أصله.

(النتيجة): الكلام فى خصال الإمامة قبل هذيان.

فى النص الحجاجى المعاصر يعتمد الكاتب على القياس المنطقى أحياناً، لا سيما طه حسين. من نماذجه عند طه حسين قوله عن أنصار القديم: "وإذا فهم بين اثنين: إما أن يكونوا صادقين حين يبكون القديم ويحرصون عليه، فهم يحيون حياتهم كارهين ويأخذون بلذاتها ويحتملون آلامها دون أن يكون لهم فى شئ من ذلك رأى. فإن كانوا كذلك فهم خليقون بالرحمة والعطف والإشفاق. وكيف لا ترحم من يحيا راغماً ويلذ راغماً ويألم راغماً!"^(٢٠).

يمكن اختزال القضايا فى القطعة السابقة إلى الشكل التالى:

(المقدمة الكبرى): من يحيا حياته كارهاً خليق بالرحمة.

(المقدمة الصغرى): أنصار القديم (صادقين) يحيون حياتهم كارهين.

(النتيجة): أنصار القديم خليقون بالرحمة.

بدهى أن كاتب الحجاج لا يعرض أقواله دائماً فى الصياغة والترتيب المباشرين كالنموذج القياسى التقليدى، بل كثيراً ما يخالف فى الترتيب ويزيد فى العبارة بأحد الأقوال. وربما توزعت

أقوال القياس على مساحات شتى من النص. ولكن القارئ الذي ينبغي له أن يبذل مع النص الحجاجي جهداً خاصاً، لن يعسر عليه معرفة الصلات بين تلك الأقوال وإن تضاءلت. من ذلك مثلاً ما وقع في نص للمازني، هو مقال "القدماء والمحدثون". الجملة الأولى من الفقرة الأولى من النص هي: "البساطة من مظاهر الصحة والاستقامة في الإحساس والنظر"^(٧٢). العلاقة بين الجملتين تقدم لنا القياس المنطقي التالي:

(المقدمة الكبرى): البساطة من مظاهر الصحة والاستقامة في الإحساس والنظر.

أ/٢ القياس المضمّر

القياس المضمّر Enthymeme أحد أنواع القياس المنطقي. معيار القياس المضمّر أنه قياس محذوف المقدمة، وهي عادة المقدمة الكبرى^(٧٣). عندما نقول: "الوطن جدير بالولاء لأنه يساعد على تربية المرء"، سوف يستلزم القياس المنطقي الكلي القياس المضمّر التالي:

(المقدمة الكبرى): [مضمرة]: كل شيء يساعد على تربية المرء جدير بالولاء.

(المقدمة الصغرى): [مذكورة]: وطن المرء يساعد على تربيته.

(النتيجة): وطن المرء جدير بالولاء.

غنى عن البيان أن المقدمة المحذوفة سوف تبني على القولين الآخرين وقد وصل أحدهما بالآخر على نحو مناسب.

من أمثلة القياس المضمّر قول طه حسين في سياق احتجاجه لرأيه في الرافعي رمزاً لأنصار القديم: "فإذا كان لي أن أقدم إليه وإلى أمثاله من الناس الذين يعيشون القديم على غير علم به ولا فهم صحيح له نصيحة، فهي أن يصدقوا حين يكتبون، فقد كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء"^(٧٤).

يمكن عرض القياس المضمّر في القطعة السابقة على النحو التالي:

(المقدمة الكبرى): [مضمرة]: يفهم الكاتب حين يكون صادقاً فيما يكتب.

(المقدمة الصغرى): [مذكورة]: كان القدماء صادقين حين يكتبون.

(النتيجة): [مذكورة]: ومن هنا فهمنا القدماء.

أشير هنا إلى دور الاستنباط في القياس المضمّر، حين يمتد الكلام شيئاً ولا يكون سبيل تقدير الطبقة الكبرى في المقدمة الكبرى إلا بالاستنباط. من ذلك ما نجده في قوله طه حسين عن الرافعي أيضاً من النص السابق، نفسه، : "ستضحك حين تقرأ هذا الفصل، فترى الرافعي قد انتهى به الغرور والعجب إلى حيث خيل إليه أنه أغضبني، وأنا كنت أسمع كلامه فتبتلعني ثيابي، وأنا اقتلعت نفسي من المجلس اقتلاعاً، بل فررت منه مرتين: تركته عند "عزمي" مرة وفررت إلى "هيكل" فتبعني، فتركت له "السياسة" كلها. وأخطأ حين فسر هذا الاقتلاع بأنه أثر الخوف أو ما يشبهه. ولو فسره بشئ آخر يشبه استئثار الظل واستبطاء الحركة لوفق بعض الصواب. وأخطأ حين قرر أن ثيابي كانت تبتلعني، ومم تبتلعني ثيابي؟!

لقد يكون من الحق على الرافعي لو أنصف نفسه، أن يعلم أنني من قوم قد بلوا السفهاء فأحسنوا بلاءهم وصبروا لهم واحتملوا منهم شراً كثيراً لا ضجرين ولا متحرجين ولا مستخفين في ثيابهم"^(٧٥).

يمكن تصوير القياس المضمّر في القطعة السابقة على النحو التالي:

(المقدمة الكبرى): [مضمرة]: السفهاء من فسروا اقتلاعاً من المجلس بأنه أثر الخوف.

(المقدمة الصغرى): [مذكورة]: فسر الرافعى اقتلاعى من المجلس بأنه أثر الخوف.

(النتيجة): [مذكورة]: الرافعى سفيه (أو أحد هؤلاء السفهاء).

يبدو القياس المضمّر فى مثل هذه الحالة آلية منطقية للوصول إلى نتيجة أو غرض يشبه ما يسمى بالتعريض للبقيا. والتعريض للبقيا آلية فى الخطاب يمثل لها القدماء بتعريض الله بأوصاف المنافقين وإسماكه تسميتهم إبقاء عليهم وتألّف لهم^(٧٥).

يستوجب القياس المضمّر حضوراً يقظاً للقارئ مع النص، يستنبط له من سياق الحجاج مقدمته المحذوفة. نضرب مثلاً آخر على ذلك قول المازنى: "المذهب القديم لا يعول على حجة ولا يستند إلى عقل؛ فكان وما يزال حسبه من المقاومة الاعتماد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس وعلى اعتياد الجماهير الطريقة القديمة"^(٧٦).

يمكن تصوير القياس المضمّر فى هذه القطعة على النحو التالى:

(المقدمة الكبرى): [مضمرة]: الاعتماد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس .. ليس حجة ولا يستند إلى عقل.

(المقدمة الصغرى): [مذكورة]: المذهب القديم يعتمد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس.

(النتيجة): [مذكورة]: المذهب القديم لا يعول على حجة ولا يستند إلى عقل.

يتضح مما سبق وفرة إضمار المقدمة الكبرى. حتى صار ذلك معيار القياس المضمّر المألوف. ولكن قد تضرر المقدمة الصغرى. نضرب مثلاً على ذلك من عينات الدراسة قول طه حسين فى سياق احتجاجه لرأيه فى العلاقة بين "القديم والجديد". وهل من سبيل إلى أن نفرغ من مثل هذه المسألة؟ فقد رأينا فى فصل مضى أنها مسألة تلازم الأمم الحية، وتلازمها لأنها حية؛ إذ كانت الحياة بطبيعتها تطورا وكان التطور بطبيعته انتقالاً من حال إلى حال^(٧٧).

ينبغى للقياس المضمّر فيما سبق أن يبدو على النحو التالى:

(المقدمة الكبرى): [مذكورة]: القديم والجديد مسألة تلازم الأمم الحية.

(المقدمة الصغرى): [مضمرة]: مصر أمة حية.

(النتيجة): [مضمرة]: القديم والجديد مسألة تلازم مصر.

فى القياس المنطقى لابد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى وإلا كان الحجاج عبثاً، وفى القياس المضمّر يسلم المخاطب جدلاً بتلك المقدمة. القياس المنطقى والقياس المضمّر هما الشكلاّن المنطقيان الأعم فى الخطاب الحجاجى العربى.

أ/ ٣ القياس المتدرج

القياس المتدرج Sorites - شأنه شأن القياس المنطقى - شكل من أشكال تحديد العلاقات المنطقية - الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا. يعد القياس المتدرج امتداداً معقداً للتعامل القائم على القياس المنطقى؛ وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدى إلى نتيجة هى المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة^(٧٨).

يمكن أن نضرب مثلاً توضيحياً على القياس المتدرج فيما يلى:

كل المسافرين للموضة متحررون من القيود.

كل المتحررين من القيود مزعزعون.

كل المزعزين مرضى عقلياً.

كل المرضى عقلياً فى حاجة إلى التعاطف.

كل المسيرين للموضة فى حاجة إلى التعاطف

يلاحظ فيما سبق أن المقدمتين الأوليين تقودان إلى نتيجة صالحة: "كل المزعزين مرضى عقلياً"، وذلك أن التعبير "متحررون من القيود" موزع على المقدمة الصغرى: "كل المسيرين للموضة مززعون"، وهذه هي المقدمة الكبرى غير المعبر عنها والتي تقود مع القول الثالث: "كل المزعزين مرضى عقلياً"، إلى نتيجة أخرى جديدة: "كل المسيرين للموضة مرضى عقلياً" وهي نتيجة ترجع بدورها إلى المقدمة الكبرى التي كان القول الرابع مقدمتها الصغرى، وكان القول الخامس نتيجة القياس المنطقي الضمنى والاستنتاج المتدرج الكلى.

تبرهن العينات على أن طه حسين أكثر الحجاجيين اعتماداً على القياس المتدرج. من أحد النصين المختارين له، وهو "القديم والجديد" يقول فى سياق عرضه للخلاف الدائر بين أنصار القديم والجديد فى الأدب: "نريد أن نفرغ من مسألة القديم والجديد إنها مسألة تلازم الأمم الحية، وتلازمها لأنها حية؛ إذ كانت الحياة بطبيعتها تطورا وكان التطور بطبيعته انتقالا من حال إلى حال، وكان هذا الانتقال نفسه، موجودا للخلاف بين جديد طارئ وقديم زائل. فليس للجديد بد من أن يجاهد ليظهر ويستأثر بالحياة، وليس للقديم بد من أن يجاهد قبل أن يزول ويفقد سلطانه على النفوس"^(٧٩).

يمكن تصوير القطعة السابقة فى نسق القياس المنطقي المتدرج على النحو التالى:

- القديم والجديد مسألة تلازم الأمم الحية؛ لأنها حية.
- الحياة تطور.
- التطور انتقال.
- الانتقال موجود للخلاف بين قديم وجديد.
- الجديد لابد له من أن يجاهد (ليظهر). والقديم لابد له من أن يجاهد (قبل أن يزول).
- القديم والجديد مسألة جهاد بين الزوال والظهور.

غنى عن البيان أن كاتب الحجاج لا يشغل نفسه، دائماً بأن يجعل أقواله مقيدة بقالب القياس المنطقي المتدرج التقليدى. ربما ظهرت أقواله على هذا النحو، وربما تحررت فى نسق النظم بعض الشئ - على نحو ما رأينا فى القطعة السابقة - من غير أن يفسد المحتوى الذى تؤسس عليه البنية الأساسية لهذا النوع من القياس المنطقي.

يمتد القياس المتدرج غالباً إلى عدة أقوال، ولكنه قد يبني على عدد محدود من الأقوال أحياناً على حسب ما يوصل إلى النتيجة التى يريدتها المتكلم. القياس المتدرج التالى قياس غير ممتد؛ لأنه يقدم قولين اثنين فقط، ثم ينتهى بنتيجة القياس. يقول خالد محمد خالد فى سياق دفاعه عن الديمقراطية: "إن الأمة التى يزيغ تاريخها تكون كأمة بلا تاريخ، وأمة بلا تاريخ كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار"^(٨٠).

يصور القياس المتدرج فيما سبق على هذا النحو:

- أمة زائف تاريخها كأمة بلا تاريخ.
- أمة بلا تاريخ كشجرة اجتثت من فوق الأرض.

• أمة زيف تاريخها كأمة اجتثت من فوق الأرض.

من القياس المتدرج غير الممتد أيضاً قول محمد زكى عبد القادر: "والرفاهية إذا دامت انقلبت إلى ما يشبه الإدمان، لا تكفى منها جرعة واحدة أو جرعات، والإدمان يفسد الجسم والروح والعقل"^(٨١).

تقدم القطعة السابقة القياس المتدرج التالى:

• الرفاهية إدمان.

• الإدمان يفسد الجسم والروح والعقل.

• الرفاهية تفسد الجسم والروح والعقل.

يبنى القول اللاحق على جزء من القول السابق، حتى ينتهى القياس المتدرج إلى نتيجته. فى القياس المنطقى التقليدى تنتمى المقدمة الصغرى إلى الطبقة الأعلى فى المقدمة الكبرى. وهذا تمييز واضح بين النوعين.

هذا، ويشير وليم برانت W.Brandt إلى أن الاستنتاج المتدرج مهم جداً للحجاج؛ وذلك أنه يسمح للكاتب بأن يطرح خطوات واضحة تطبع حجاجه بطابع الهدوء، ولكنه الهدوء الذى لا يصل إلى الحركة البطيئة جداً والتى تضيع على القارئ انتباهه^(٨٢).

من الجائز توسيع ملحوظة برانت السابقة حتى تسرى على أشكال القياس المنطقى جميعاً؛ وذلك أنها جميعاً تسم الخطاب الحجاجى بسمه الهدوء الذى ينتج عن بنائها على التفصيل والتقسيم، واحتياجها فى الربط بين الأقوال وصولاً إلى النتيجة إلى الأناة والانتباه.

لعل ارتباط الأقيسة المنطقية بالهدوء متناسب تناسباً طردياً مع ميل النص الحجاجى فى موضوع دينى أو فكرى إلى توظيف القياس المنطقى والقياس المضمر والقياس المتدرج وسائل إقناعية، فى مقابل ميل النص الحجاجى فى موضوعات عامة أو اجتماعية إلى الاحتفاء بالقياس على النظير وضرب الأمثال والشواهد من الحياة والخبرات اليومية.

ومهما يكن من أمر، فإننا نرى فيما اشتمل عليه النص الحجاجى العربى من أشكال مختلفة للقياس المنطقى، ما يهدم زعم باربرا جونستون كوتش B.J.Koch. تزعم باربرا أن الحجاج العربى الذى يقنع عن طريق عرض دعاويه الحجاجية argumentative claims عرضاً لغوياً بالترديد وإعادة الصياغة^(٨٣). عرض الحجاج العربى دعاويه بالوسائل اللغوية السابقة صحيح، ولكنه يستخدم - بالإضافة إليها - الوسائل المنطقية المختلفة على نحو ما أثبتنا.

(ب) الوسائل اللغوية:

الوسائل المنطقية واللغوية فى كل نص حجاجى هى سداه ولحمته. كانت اللغة الأداة اللفظية لنقل المعنى أو النتيجة فى كل قياس منطقى. ولما كانت اللغة فى الحجاج وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعبر عنها وإقناعهم بمصداقيتها، وهو أمر يرغب فى البحث عن بدائل لغوية لما نألفه فى مواقف غير حجاجية، فإننا نقتصر هنا على استكشاف الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع وتحليل أنماطها المختلفة. إن تحليل لغة النص الحجاجى من منظور الاختيار اللفظى، والتكثيف اللغوى، وخصوصية البنية المجازية، وكيفيات توزيع الجمل البسيطة والمركبة والمعقدة والمركبة المعقدة، وطبيعة الإحالة الضميرية (كاستخدام نحن ونا للمعظم نفسه، إزاء خصمه على نحو ما نجد مثلاً فى مكاتبة الإخشيد إلى أرمانيوس)، فضلاً عن بحث العلاقة بين اللغة والتقنيات الحجاجية الموقفية، كالاستدراج، والمناورة (لا سيما بالجمل الافتتاحية)، ومحاورة المخاطب المفترض، والتظاهر بالتلقائية ونحوها - لن مجالات البحث اللغوى الاتصالى المهمة التى تزودنا بمعطيات مفيدة عن النص الحجاجى العربى،

تمس إليها الحاجة في حقل تحليل النص العربي. ولكننا - كما أشرنا - سوف نقتصر هنا على تحليل البنى اللغوية التي يغلب وقوعها في النص الحجاجي العربي والتي تزوده بأدوات مهمة في الإقناع والاستمالة، بما يجعله متميزاً - إلى حد بعيد - عن غيره من أنواع النصوص الأخرى. بناء على ما تقدم، يمكن أن نميز بين عدد من البنى اللغوية، من أهمها: بنية التكرير. وبنية التوازي، وبنية الازدواج أو التوازن.

ب/ ١ بنية التكرير

يزودنا استقراء بعض المصادر البيانية بطائفة من المعطيات المهمة عن التكرير، نجملها فيما يلي:

١- للتكرير (ويسمى أيضاً بالترديد والترداد) وظائف خطابية عدة، عبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف^(٨٦)، وتوكيد الكلام والتشبيد من أمره، وتقرير المعنى وإثباته^(٨٧).

٢- ليس التكرير محض وقوع اللفظ في الكلام أكثر من مرة، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرة. يخرج عن حكم التكرير مثلاً إطالة الفصل من الكلام وافتقار أوله إلى تمام لا يفهم إلا به. يقتضى سبك الكلام - إذ ذاك - أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل. مثال هذا قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) "آل عمران" (٨٨).

٣- ترتبط بعض حالات التكرير بالتغيير في سلوك المخاطب. يقول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ): "إذا صدر الأمر من الأمر على الأمور بلفظ التكرير مجرداً من قرينة تخرجه عن وضعه، ولم يكن موقناً بوقت معين، كان ذلك حثاً له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام: "قم قم قم"، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة" (٨٩).

٤- التكرير ظاهرة لغوية مقامية. من أهم ما يدل على هذا الفهم إشارة ابن الأثير إلى تكرير المعنى في مقام الاعتذار والتنصل قصداً إلى التأكيد والتقرير لما ينفي عن المتكلم ما رُمى به^(٩٠).

٥- قدمت محاولات لتصنيف أنواع التكرير. من أشهر التصنيفات ما قدمه ابن الأثير:

(أ) التكرير في اللفظ والمعنى.

(ب) التكرير في المعنى دون اللفظ.

من النوع الأول قولك لمن تستدعيه: "أسرع أسرع". ومن النوع الثاني قولك: "أطعني ولا تعصني"؛ فإن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية^(٩١).

٦- قدمت محاولات أخرى لتصنيف التكرير في المعنى. ولكنها كانت محاولات جزئية للغاية. ومن ذلك التفات ابن الأثير إلى أن التكرير في المعنى يدل على معنيين: أحدهما خاص، والآخر عام؛ كقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) "آل عمران" ١٠٤. فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمراً بالمعروف؛ وذلك أن الخير أنواع كثيرة، من جملتها الأمر بالمعروف^(٩٢).

وكان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قد قيد التكرير - ويسميه الترداد - بقدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص^(٩٣).

في اللسانيات النصية، عولج التكرير من منظور دوره في السبك المعجمي، وذلك أن يحيل اللفظ المكرر إلى لفظ آخر سابق مرادف، أو مرادف قريب، يرتبط به بالإحالة المشتركة^(٩٤). ومن أشهر الأطر المقترحة لوصف السبك المعجمي ما رأيناه عند هاليداي ورقية حسن^(٩٥).

ومهما يكن من أمر، فإن وظيفة التكرير التركيبية تخرج عن إطار غرضنا هنا، إنما نعنى بتحليل بنية التكرير من منظور الوظيفة الاتصالية الإقناعية. نرى هنا للقضاء إشارات مهمة تفيد فى إلقاء الضوء على تلك الوظيفة. يقرن أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) التكرير بتأكد الحجة^(٩٦). ويجعل التكرير مدا للقول، ومن ثم يربط بين مدا القول وبلوغه الشفاء والإقناع^(٩٧).

شغلت البنية التكرارية للخطاب الحجاجى العربى بأل عددا من المستشرقين:

ترى شيرلى أوستلر Schirly Ostler — فى دراسة تقابلية بين النثر الإنجليزى والنثر العربى أنه "على عكس التطور فى الإنجليزية من لغة شفوية إلى لغة كتابية، تظل العربية الكلاسيكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتقاليد شفاهية Oral traditions"^(٩٨).

وترى باربرا جونستون كوتش B.J.Koch أن خطاب الحجاج العربى يعتمد فى الإقناع على العرض اللغوى للدعوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة. وترى أن هذا الطراز من الحجاج هو نتيجة المركزية الثقافية للغة العربية فى المجتمع العربى الإسلامى.

وتسمى باربرا هذه الاستراتيجية البلاغية: استراتيجية الإقناع بالتكرير repeating وبالصياغة الموازية rephrasing وإلباس الدعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات، تسميها باسم "استراتيجية العرض Presentation" (استحضار الشئ أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره)^(٩٩).

أما ارتباط العربية بتقاليد شفوية، فهو أمر تثبته البنى اللغوية للنصوص، ونرى له آثاراً عدة على المستوى الصوتي- الصرفى والمستوى التركيبى معاً. ووقوف القدماء من اللغويين والنحاة على تلك الآثار دليل تاريخى قديم على الوعى بوجوده. وأما إطلاق كوتش القول بالتكرارية فى الحجاج العربى، فأمر نريد هنا تقييده باستقراء النصوص.

تقبل أنماط التكرير فى النصوص المختارة لهذه الدراسة أن تصنف بأى طريقة للتصنيف. نختار هنا أن نصنفها إلى صنفين رئيسين: تكرير الشكل، وتكرير المضمون. يشتمل تكرير الشكل على اللفظ المفرد والعبارة أو الجملة، وهو تكرير شكلى فى مقابل تكرير المضمون الذى أثرته على ما أسماه بعض القدماء مثل ابن الأثير بتكرير المعنى؛ وذلك أن ما سمى بتكرير المعنى لا يكون المعنى فيه مكرراً، بل يتغير بتخصيص أو تعميم أو اشتراك فى جزء من المعنى. وإذن ما يجمع المعنى والمعنى هنا نقل مضمون عام واحد.

ب/١- أ تكرير الشكل

ينبغى لنا أولاً الإشارة إلى أن تكرير الشكل لا صلة له بالإقناع إلا إذا لوحظ فيه قصد إلى ذلك. فى مثل قول العقاد: "ثم إننا لا نعرف شعرا يرويه الناس ويقال إنه يعنى قائله وحده؛ لأن شعر النفس يعنى كل نفس"^(١٠٠). تكررت الكلمتان "شعر" و "نفس" مرتين، ولكننا لا نرى فى هذا التكرير قصداً إلى إقناع؛ لأنه لا بديل فى سبك ذلك المنطوق عن مثل هذا التكرير. وقد مرت بنا إشارة ابن الأثير إلى حكم التكرير، وأنه يخرج الحالات التى يطول فيها الفصل من الكلام حتى يفتقر أوله إلى تمام لا يفهم إلا به. تطول القائمة بحالات أخرى يقتضيهما السبك ولا أثر فيها لقصد التقرير أو التوكيد أو الإقناع أو نحو ذلك، ولكننا نريد لنذكر أمثلة للتوضيح من نصوص كاتب واحد هو العقاد:

• قوله: فتهيج فيها (الأصوات) العاطفة العاطفة، وتبعث الرغبة الرغبة"^(١٠١).

• وقوله: "وكأنما ينزع نفسه، من نفسه،"^(١٠٢).

• وقوله: "لأن المدارك مدارك فرد واحد، والهوى هوى نوع بأسره"^(١٠٣).

• وقوله: "يخالجه الغضب كما يخالجه الطرب"^(١١٢).

• وقوله: "ولكنه (أى العشق) غريزة يراد بها بقاء النوع كله واتصال حبل الحياة جيلاً بعد جيل"^(١١٣).

يمكن أن نرى لبعض هذه الاستخدامات وظائف خاصة، كأن تكون الوظيفة هي الوصف فى نحو "جيلاً بعد جيل"؛ أى أجيالاً متتابعة، ولكننا لا نرى فى غيرها إلا وظيفة سبكية خالصة Cohesive Function يقتضيها التركيب، لا بلاغية يقتضيها المقام. مثل هذه الحالات لا موقع لها من الاهتمام فى دراستنا.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع للتكرير على مستوى الشكل، وفقاً لما يتيح لنا استقرار النصوص المختارة، وهى:

١- تكرير المكرر بذاته، سواء أكان لفظاً مفرداً أم غير ذلك، فى منطوق واحد، أم غير ذلك.

٢- التكرير فى هيئة عنصرين من مادة واحدة.

٣- التكرير بإعادة الصياغة.

أما (النوع الأول)، وهو تكرير المكرر بذاته، فقد يكون لفظاً مفرداً، كقول طه حسين فى سياق دفع دعوى أنصار القديم: "فإن كانوا كذلك، فهم خليقون بالرحمة والعطف والإشفاق. وكيف لا ترحم من يحيا راغماً ويلذ راغماً ويألم راغماً!"^(١١٤). وقول مصطفى محمود فى سياق تبريره دعواه بتغيير حال الدنيا: "والكلام فى وسائل الإعلان عن التلوث: الهواء الملوث، والماء الملوث، والطعام الملوث"^(١١٥). وربما امتد تكرير اللفظ فى النص الحجاجى العربى امتداداً أبعد كثيراً حتى يبدو النواة الكبرى فى تشييد دعواه الرئيسة. ومن ذلك مثلاً كلمة "متعددة" فى نص "التعدد فى حياة الإنسان" لمحمد زكى عبد القادر، ومنه قوله: "الإنسان من حيث هو إنسان له ارتباطات متعددة، ونظره إلى الأمور له وجوه متعددة، وهو من حيث إنه إنسان له عقل، تخطر عليه تساؤلات متعددة، ومن حيث إنه إنسان له قلب تضطرب فى قلبه عواطف متعددة"^(١١٦).

يريد الكاتب بالتكرير فيما سبق تثبيت تبريره دعواه، حيثما يكون استبقاء المكرر فى الزمان والمكان وسيلة لدحض ضده.

فى حالات أخرى يجعل الكاتب المكرر بذاته وسيلة لغوية للوصول إلى الهزء بالخصم وفضح جهله. نضرب مثلاً على ذلك قول طه حسين عن خصمه الرافعى: "إذا كان لى أن أقدم إليه وإلى أمثاله من الناس الذين يعشقون القديم على غير علم به ولا فهم صحيح له نصيحة، فهى أن يصدقوا حين يكتبون، فقد كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء، ولم نفهم هؤلاء السادة "المتقادمين"!"^(١١٧).

فى عبارة "هؤلاء السادة المتقادمين" سخرية واضحة بالخصوم الذين تكلفوا نهج القدماء على غير علم، وقد مهد لهذه السخرية تكرير لفظ "القدماء" قبلها.

ولعل طه حسين أكثر الحجاجيين المحدثين استخداماً لبنية التكرير قصد السخرية بالخصم. وتكشف سياسة السياق اللغوى مع تلك البنية عن كفاءة اتصالية حجاجية عالية. نؤكد ذلك بمثال آخر هو قوله: "لقد يكون من الحق على الرافعى لو أنصف نفسه، أن يعلم أنى من قوم قد بلوا السفهاء فأحسنوا بلاءهم، . . . وإن رجلاً يحتمل السفهاء مثل ما نحتمل لخليق ألا يضيق صدره إن أراد الله على هؤلاء السفهاء واحداً، أو يبسم ثغره إن نقص الله من هؤلاء السفهاء واحداً"^(١١٨). وقعت "السفهاء" فى النص السابق، أربع مرات. يمكن فى الموضع الثانى استبدالها بالضمير أو اسم الإشارة المناسب. ويمكن فى الموضعين الثالث والرابع الاستغناء عنها،

ولكن الكاتب قصد بتكرير اللفظ تهيج خصمه - موصوفاً بالسفه - مع كل مرة! التكرير هنا وسيلة لإقناع الخصم عن طريق دحض زعمه وكشف حقيقته.

من ناحية أخرى، قد يكون المكرر بذاته عبارة أو جملة. ويقع ذلك في المقدمات لتقرير المعطيات، كما يقع في التبريرات والدعاوى جميعاً. يلفت الانتباه هنا تكرير الجملة في الدعوى، سواء أكانت المقدمة دعوى الحجاج أم وقعت المقدمة والدعوى في مكانيهما المعتادين. في مقدمة حجاجه، نرى للكندى هذه الجملة: "إنما المال لمن حفظه". وفي نص دعواه يكرر هذه الجملة مع جمل أخرى برهن فيما سبق من خطابه على صحتها بالتبرير: "فالمال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه" (١١٩). وينكر طه حسين على أنصار القديم نصرهم القديم في الوقت الذي يستمتعون فيه في حياتهم الخاصة بأحدث ما اخترعت الحضارة، فيقول: "ولقد أريد أن أرى بين أنصار القديم أولئك الذين لا يزالون يأكلون ويشربون في الصحاف والأكواب من النحاس والفخار وقد جلسوا على حصير ورفضوا الكراسي رفضاً، وأبوا أن يستمتعوا بكل ما أتاحت لهم الحضارة الحديثة من أدوات الترف واللذة البريئة - أريد أن أرى هؤلاء، ولكني يأس من رؤيتهم" (١٢٠). التكرير هنا تعبير عن رغبة أحد طرفي الحجاج الملحة في أن يثبت الخصم ما يبرهن على صلاحية معتقده، ولكن تظل هذه الرغبة غير متحققة؛ لأن ما يصدر عن ذلك الخصم يصاد ذلك المعتقد.

في مواقع أخرى ينقض طه حسين دعوى الخصم بحكم صريح، يكرر منطوقه تثبيتاً لضمونه ورغبة في رجوع الخصم عما ادعى. من ذلك مثلاً العبارة "ليس من القديم الصالح في شئ" المكررة بصدر كل منطوق فيما يلي: "ليس من القديم الصالح في شئ أن تتغير الحياة أمامك دون أن تشعر بهذا التغيير أو تلائم بينه وبين اللغة. وليس من القديم الصالح في شئ أن تكثر الأشياء المستحدثة التي تصطنعها في كل يوم بل في كل ساعة، فلا تستطيع أن تنطق باسمها إلا إذا وجدت لها اسماً عربياً ورد في المعاجم اللغوية القديمة. ثم ليس من القديم الصالح في شئ أن تشعر الشعور الذي لم يكن يشعره غيرك من القدماء. ثم ليس من القديم الصالح في شئ أن تأخذ نفسك بسلوك سبل القدماء في وصف الجمال، فلا تعرف من فنون الشعر والنثر إلا ما عرفوا" (١٢١).

وتكرر الجملة جزءاً من منطوق كامل في عجزه أيضاً، كقول محمد زكي عبد القادر في توكيده واحدية مصدر أشياء عدة: "الأدب العظيم جاء من المعاناة، والحب العظيم جاء من المعاناة" (١٢٢).

يهدف التكرير فيما سبق إلى تثبيت الدعوى أو تقرير المعطيات. إنه يهدف إلى جعل محتوى الجدل مفهوماً أكثر. إنه يزيد الفهم بجذب انتباه المستقبل وامتلاكه.

أما (النوع الثاني)، وهو التكرير في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة فتراه في غير نص من النصوص المختارة. يمكن أن نرى من ذلك قول إخوان الصفا: "واعلم أن إقدار الله القادرين وتقويته الأقوياء وتيسير الأمور ليس بمجبر لأحد منهم على فعل من الأفعال ولا عمل من الأعمال ولا تركه" (١٢٣).

أما مكاتبة الإخشيد فهي من النصوص الحجاجية القليلة التي تعرض نموذجاً يتسع فيه مدى هذا النوع حتى يصير آلية لغوية مهمة من آليات دفع دعوى الخصم وإقناعه بالإقلاع عنها. من هذه المكاتبة قوله مثلاً مخاطباً أرمانوس: "وإن كنت تجرى في المكاتبة على رسم من تقدمك، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا، ولا أغنى غناءنا، ولا ساس في الأمور سياستنا" (١٢٤). في هذه المكاتبة نجد أمثلة أخرى عدة على هذا النوع، نحو "القدرة القادرة" و"نشر الناشرين" و"قول القائلين" و"يفوت عددها عد العادين" و"جبرية الجبارين" و"شكر الشاكرين" و"سعى لها سعيها" و"سلك مسلماً" و"قلت قولاً" إلخ (١٢٥). تعكس مثل هذه الهيئة من التكرير المبنية على: فعل + اسم فاعل، أو: فعل + مفعول مطلق، تعكس - في سياقها الحجاجي - حالة من الحالات في تأثير سلوك الخصم - في منازعة محتدمة - باستخدام علامات لغوية تعتمد في تأثيرها السمعي على مبدأ التجانس.

أما (النوع الثالث) من أنواع تكرير الشكل، فهو تكرير بتغيير التركيب، يتسع فيه المدى عادة بين الشكل الأول والشكل الثاني. أضرب مثلاً على ذلك قول المازني في سياق البرهنة على فوز المذهب الجديد في الأدب: "ولو شئنا. وكان ذلك يلائم مزاجنا ويليق بمهمة النهضة بالأدب وتحريره، لباهينا بالمذهب الجديد فيه وبفوزه على صنوف الاستبداد"^(١١١). يبرهن الكاتب على دعواه حتى يخلص إلى قوله مكرراً العبارة السابقة في تغيير التركيب: "فاز المذهب الجديد على هذه وغيرها من صنوف العنت وضروب الاستبداد"^(١١٢). الترجيع في هذه الحال تشييد للمعنى ووجهة النظر.

ب/١- تكرير المضمون

يبني تكرير المضمون أو المحتوى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى. وتتيح لنا النصوص المختارة تصنيف تكرير المضمون إلى الأنواع الأربعة التالية:

١- تكرير مفردتين متوالييتين أو أكثر، في جملة واحدة أو منطوق واحد.

٢- تكرير مفردتين في جملتين أو منطوقين متواليين.

٣- تكرير مفردتين في ثنائية.

٤- تكرير المضمون بين جملتين متوالييتين.

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع:

أما (النوع الأول)، وهو تكرير مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد لمعنى واحد. أو لمعنى عام واحد. وهذا النوع لم يخل منه نص من نصوص الدراسة. بل تظهر الإحصاءات أنه النوع الأكثر شيوعاً، فهو يمثل حوالى ٥٤٪ من مجموع أنواع تكرير المضمون، أى ما يربو على نصف كم الأنواع الأخرى مجتمعة.

يمكن أن نميز لهذا النوع بين أشكال فرعية عدة:

(أولها) يستخدم فيه الكاتب مفردتين أو أكثر على أنها مترادفة وأن إحداها يمكن أن تحل محل الأخرى. وهذا الشكل هو أكثر أشكال هذا النوع وقوعاً في النصوص الحجاجية العربية. إنه يمثل ما يقرب من ٧٥٪ من جملة الأشكال الأخرى.

من أمثلة هذا الشكل قول الكندي لعياله وأصحابه: "اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله"^(١١٣).

يرى الكاتب في الجمع بين مفردتين أو أكثر لمعنى واحد آلية لشغل فضاء ذلك المعنى كاملاً، حيثما تقصر المفردة الواحدة- في ذلك السياق الحجاجي- عن أداء هذه الوظيفة. يعنى هذا بالطبع أن الترادف لا يبلغ- مهما بدا قريباً- أن يكون ترادفاً كاملاً.

(وثانيها) ارتباط الثانى بالأول ارتباط السبب بالمسبب. وهذا الشكل يلى سابقه من حيث الشيوع. ومن أمثلته قول إخوان الصفا فى مقدمة احتجاجهم لمسألة الإمامة: "وبدرت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء، وجرت بين طالبيها الحروب والقتال"^(١١٤).

(وثالثها) ارتباط اللاحق بالسابق، ارتباط التدرج من هيئة الحدث إلى هيئة أخرى. نرى مثلاً على ذلك قول محمد زكى عبد القادر: "لنوقن - إذن - أن الألم قرين الحياة؛ بل باعثها ومحركها ودافعها للأمام"^(١١٥). التدرج واضح من بعث مجرد إلى حركة مجردة ومن حركة مجردة إلى دفع إلى الأمام. نرى أن هذا توكيداً لمقولة اقتران الحياة بالألم فى شتى حالاته.

و(رابعها) أن تتضمن الكلمة الثانية الكلمة الأولى، وهو أن تكون علاقة الثانية بالأولى علاقة العام بالخاص. من ذلك مثلاً قول العقاد في سياقٍ دحضه وهما شائعاً بين قراء الشعر، وهو أن شعر الغزل ينبغي له أن يكون مفراطاً في رِقته بعيداً عن العنف والقوة: "ولا يزال الغناء كذلك حتى يتعلم الناس الكلام وينعقد الصوت ألفاظاً وحروفاً. فيتدفق الغزل من النفس المحتمة تدفقاً قويا عارماً"^(١٢١). العارم يتضمن القوى بالضرورة. وهو تضمن محدود بحدود الانتقال من درجة إلى أخرى أقوى. وهذا الشكل كثير الوقوع في النص الحجاجي العربي.

و(خامسها) وهو عكس الشكل السابق؛ أي الكلمة الأولى هي التي تتضمن معنى الثانية. ومن ذلك قول الإخشيدي في سياق احتجاجه لحسن سياسته ممالكه ورعيته: "وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها، على عظمها وسعتها، بفضل الله علينا وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية"^(١٢٢). السعة مضمنة في العظم. والتضمن هنا محدود بحدود الانتقال من العام إلى الخاص.

(النوع الثاني) وهو تكرير المضمون المبني على مفردتين في جملتين. ويستدل - من خلال فحص النصوص المختارة - على أنه أقل الأنواع وقوعاً، فهو يمثل ٤.٥٪ من مجموع الأنواع الأخرى. ومن أمثله قول الكندي في سياق احتجاجه لحرصه على دراهمه تجنباً للفقر والحاجة: "فكيف تأمروني أن أؤثر أنفسكم على نفسي، وأقدم عيالكم على عيالي؟"^(١٢٣). ومنه أيضاً قول مصطفى محمود في سياق تدعيم دعواه أن الحب هو رأس القضية: "وما كان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين على دين، أي دين، ولا كان سفاحو الصرب الذين يقتلون الأبرياء على أي ملة"^(١٢٤). رادف الكندي بين (أؤثر) و(أقدم) في جملتين بالقطعة الأولى، ورادف مصطفى محمود في جملتين من القطعة الأخيرة بين (دين) و (ملة). في الحال الأولى وقع المترادفان بصدر الجملتين، ووقعا بعجز الجملتين في الحال الأخيرة.

(النوع الثالث) وهو تكرار مفردتين في ثنائية. يمثل هذا النوع حوالي ١٧٪ من مجموع الأنواع الأخرى، أي ما يقل كثيراً عن سدس تلك الأنواع. وبينما وقوع ذلك النوع كثير نسبياً في النصوص الحجاجية القديمة إذا بالنصوص الحجاجية الحديثة يقل فيها أن يقع تكرير المضمون على مستوى ثنائية لفظية من جملة واحدة. من أمثلة هذا النوع قول الكندي في دفع دعوى خصومه: "وزعمتم أننا سمينا البخل إصلاحاً والشح اقتصاداً. كما سمي قوم الهزيمة انحيازاً والبذاء عارضة"^(١٢٥).

ومنه قول إخوان الصفا في سياق القياس على النظم دعماً للدعوى: "وعلى هذا المثل حكم سائر الأعمال الصعبة والأفعال الشاقة"^(١٢٦). ومنه أيضاً قول الإخشيدي في سياق شرح مذهب من في الأسر من رعيته: "وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر، وشدة البأساء، على نعيم الدنيا وخيرها، لحسن منقلبه، وحميد عاقبته"^(١٢٧).

تدلنا عينات الدراسة على أن تكرير المضمون من هذا النوع يميل غالباً إلى جعل الطرف الثاني في الثنائية اللفظية أعم وأقوى من الطرف الأول فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تكرير المضمون من هذا النوع يبدو آلية أساسية من آليات تشديد المعنى وإقناع المستقبل على وجه خاص في بعض نصوص هذه الدراسة، لا سيما مكاتبة الإخشيدي. هذه المكاتبة هي الأكثر احتفاءً بذلك النوع من سائر نصوص الدراسة. يمثل تكرير المضمون على مستوى الثنائيات اللفظية في تلك المكاتبة حوالي ٥٢.٦٪ من جملة حالاته في النصوص الأخرى جميعاً. وهو يمثل وحده ٤٠٪ من تكرير المضمون في نص المكاتبة ذاتها بجميع أنواعه.

تؤكد ثنائيات تلك المكاتبة فكرة المكاثرة أو المغالبة التي اقتضاها احتجاج الإخشيدي لمنزلته، محور ذلك الاحتجاج، مثل: "عظم الشأن وفخامة الأمر" و "كبر الأحلام وبعد المرامي"

إلخ. وترتبط هذه الثنائيات من ناحية أخرى- على نحو ما سنفصل فيما بعد- باستراتيجية التوازن الغالبة على نص المكاتبه غلبة قوية. بما يجعلها من النماذج المتميزة بين النصوص الحجاجية العربية على الجمع بين تكرير المضمون من ذلك النوع والتوازن.

(النوع الرابع) وهو تكرير المضمون على مستوى الجمل والعبارات. وهذا النوع- كما تثبت نصوص الدراسة- يمثل ما يقرب من ربع حالات تكرير المضمون في النص الحجاجي العربي. فهو يمثل ٢٤,٣٪ من جملة الأنواع.

من أمثلة هذا النوع قول الكندي: "فالمال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه. وإنفاقه هو إتلافه، وإذا حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب"^(١٢٨)- الجملتان الأخيرتان مستخدمتان لمضمون واحد. وربما عبر عن المعنى أو المعنيين بتكرير جمل عدة متوالية؛ كقوله أيضاً: "فإن للنفس عند كل طارف نزوة، وعند كل هاجم بدوة. وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرة. فإني متى رددتها ارتدت، ومتى رددتها ارتدعت"^(١٢٩).

ومما يلاحظ هنا أن تكرير المضمون على مستوى الجمل وأشباهاها في النصوص الحجاجية العربية الحديثة أقل بعامة منه في النصوص الحجاجية العربية القديمة. بينما النسبة الأعلى في النصوص القديمة هي ٤٠٪ تقريباً (وذلك في حجاج الكندي لبخله) إذا بالنسبة الأعلى في النصوص الحديثة لا تجاوز ٣٣,٣٪ (عند طه حسين). تبين المقارنة بين النسبتين- من ناحية أخرى- دنو طه حسين من الأسلوب العربي القديم في الحجاج، وهو أسلوب يحتفى احتفاءً خاصاً بإعادة صياغة المعنى وإيقاعية التوازن اللذين يعكسان تفكيراً مطولاً، تغلب فيه السلاسة والهدوء على الانتقالات المفاجئة أو السريعة. ومن الملائم هنا الإشارة إلى ما لاحظته والتر أونج Walter Ong في قوله: "ويميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي- حتى عندما لا يكون في شكل شعري- إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ؛ لأن الإيقاع- حتى من الناحية الفسيولوجية- يساعد على التذكر"^(١٣٠). ولعل طه حسين أدنى المحدثين إلى النمط الشفاهي؛ فهو متأثر أشد التأثر بالنمط التعبيري القديم، فضلاً عن اعتماده على التأثير الإيقاعي عند سبك جملة والربط بينها. كأنما جعل من ذلك كله تعويضاً عن نقل كلامه بواسطة الإملاء.

ومهما يكن من أمر، فإن تأمل حالات ذلك النوع، يدلنا على أن الجملة الثانية تميل غالباً إلى أن تكون أعم وأقوى في دلالتها من الجملة الأولى التي تشترك معها في الدلالة العامة. ولعل طه حسين والعقاد أحرص المحدثين- ممن اخترنا لهم في هذه الدراسة- على إطراد هذه العلاقة بين الجملتين، مما يجعل لذلك النوع عندهما أهمية خاصة في دفع المعنى إلى درجة أقوى، وهو ما يزيد من فاعلية هذه الآلية اللغوية في إقناع المخاطب واستمالاته. يقول طه حسين- في سياق رده على الرافعي دعواه أنه كان يحسن اللغة حتى خاف منه خصمه طه حسين: "لقد يكون من الحق على الرافعي لو أنصف نفسه. أن يعلم أنني من قوم قد بلوا السفهاء، فأحسنوا بلاءهم، وصبروا لهم واحتملوا منهم"^(١٣١). التكرير في "صبروا لهم واحتملوا منهم". ويقول العقاد في سياق دفع دعوى بعض الناس بأن الرقة هي الصفة الأولى للشعر: "ويعلم (العاشق) حينئذ أن السعادة التي سمع بها هي تلك القوة التي كانت تصطرع للظهور، وتتأجج للسطوع". هذان مثالان للغالب في تكرير المضمون من ذلك النوع عند هذين الكاتبين. وهو الانتقال إلى الأعم والأقوى.

وربما بدا تكرار المضمون على مستوى جملتين أو أكثر في هيئة إيضاح أو شرح الثانية للأولى. أضرب مثلاً على ذلك قول العقاد في سياق تدعيمه دعواه بأن الرقة لا تستهجن في الشعر كله، وإنما تعاب في غير موضعها: "فمن ذا الذي يسمع الأغاني الشائعة في أيامنا هذه ممن استقامت فطرتهم وسلمت من المسخ أذواقهم، فلا يخجله أن يكون هذا الطنين الخافت صدى نفوس آدمية ينتسب إليها وتنتسب إليه"^(١٣٢). ويقول مصطفى محمود في سياق شرحه دعواه بأن الدين هو الحب القديم والحنين الدائم إلى الوطن الأصل، وأنه ليس - كما يفهم الناس - مجموعة الأوامر والنواهي ولوائح العقاب: "ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث

والفوضى والاضطراب فى هذا العالم، فـشعر أننا غرباء عنه، وأننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابرى طريق" (١٣٤).

فى كلام العقاد كانت "سلمت من المسخ أذواقهم" توضيحاً لـ "استقامت فطرتهم"، وفى كلام مصطفى محمود كانت "أننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابرى طريق" توضيحاً لـ "أننا غرباء".

تكرير المضمون على مستوى جملتين أو أكثر أوسع من غيره مدى فى نص الخطاب، ولعله-من أجل ذلك- أبلغ أثراً فى إقناع المخاطب بوجهة نظر المتكلم أو دعواه أو مصداقيته أو دحض دعوى الخصم مرة بعد أخرى.

مما سبق يمكن عرض نموذج التكرير فى النص الحجاجى العربى على النحو التالى:

وفىما يلى جداول تفصيلية بإحصاءات الأنواع المختلفة لتكرير المضمون:

الكندى (العدد ١٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٤	%٢٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	٣	%٢٠
بين مفردتين فى جملتين.	٢	%١٣.٣
بين جملتين أو أكثر.	٦	%٤٠

إخوان الصفا (العدد ٣)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٢	%٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	١	%٣٣.٣
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

مكاتبة الإخشييد (العدد ٢٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٢	%٤٨
بين مفردتين فى ثنائية.	١٠	%٤٠
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٣	%١٢

طه حسين (العدد ١٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٠	%٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٥	%٣٣.٣

العقاد (العدد ٢٢)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٠	%٤٥.٤

بين مفردتين فى ثنائية.	٣	%١٣.٦
بين مفردتين فى جملتين.	٣	%١٣.٦
بين جملتين أو أكثر.	٦	%٢٧.٣

المأزنى (العدد ٢)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١	%٥٠
بين مفردتين فى ثنائية.	١	%٥٠
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

خالد محمد خالد (العدد ٣)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٢	%٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	١	%٣٣.٣

محمد زكى عبد القادر (العدد ٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٥	%١٠٠
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

مصطفى محمود (العدد ٢١)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٤	%٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	١	%٤.٨
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٦	%٢٨.٦

الإحصاء الإجمالى (العدد ١١١)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٦٠	%٥٤
بين مفردتين فى ثنائية.	١٩	%١٧.١
بين مفردتين فى جملتين.	٥	%٤.٥
بين جملتين أو أكثر.	٢٧	%٢٤.٣

ب/٢ بنية التوازي

قدم هاليداي M. A. K. Halliday في كتابه (مدخل إلى النحو الوظيفي An Introduction to Functional Grammar) منهجاً لدراسة التوازي، هو الأدق والأوفى حتى الآن. وهو منهج يصلح تطبيقه على العربية، على نحو ما نثبت في هذه الدراسة. فصل هاليداي منهجه في التوازي تفصيلاً مبيناً. نعرض منهجه هنا موجزين - قدر المستطاع - تيسيراً لمتابعة معالجة التوازي في نصوص الدراسة.

التوازي Parataxis عنده ربط بين عناصر متساوية في الحال equal status. هناك عنصر سابق initiating وعنصر آخر متصل به أو لاحق Continuing. كل من هذين العنصرين حر؛ أي له كيانه الوظيفي الكامل. ويميز هنا بين التوازي على النحو السابق، والتركيب Hypotaxis؛ فالتركيب ربط بين عناصر غير متساوية الحالة؛ فهناك العنصر المتحكم؛ وهو عنصر حر، والعنصر المتحكم فيه؛ وهو غير حر. وكل منطوق خليط من السلاسل المتوازية والمتراكبة. مثال ذلك:

- سأفعل إذا استطعت ولكنني لن أستطيع

أ ١ ب ١ ٢

نرى هنا علاقة توازي بين: "سأفعل إن استطعت" و "لكنني لن أستطيع". وتبين هذه العلاقة هكذا: ١ ٢. وتُرى أيضاً علاقة تراكب بين "سأفعل" و "إن استطعت". وتبين هذه العلاقة هكذا: أ ب.

يحدد هاليداي العلاقات الدلالية - المنطقية التي تقع بين العنصرين: السابق، واللاحق - في بنية التوازي - في علاقيتين رئيسيتين اثنتين:

(١) علاقة التمديد Expansion: وتعني تمديد الجملة الثانية للجملة الأولى بإحدى الطرق الثلاث التالية:

(الطريقة الأولى) الإحكام ("مساو"): فالجملة الثانية تحكم الأولى كلياً أو تحكم جزءاً منها، وذلك بأن تقررها بعبارة أخرى. أو بأن تحددها على نحو أكثر تفصيلاً، أو بأن تعقب عليها، أو بأن توضحها بمثل:

- فلان لم ينتظر، جرى بعيداً

٢ = ١

الجملة الثانية لا تدخل عنصراً جديداً إلى الصورة، بل تشخص عنصراً مذكوراً بالفعل تشخيصاً أكثر، بأن تقرره أو توضحه أو تنقحه، أو بإضافة خاصة أو تعليق وصفيين.

(الطريقة الثانية) الإطالة + ("يضاف إلى"): وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بإطالتها عن طريق إضافة عنصر جديد، أو بأن تستثنى منها شيئاً، أو بأن تعرض بديلاً (الواو، أو):

- فلان جرى بعيداً، واختبأ فلان وراءه.

٢ + ١

(الطريقة الثالثة) التعظيم × ("تكاثر بواسطة"): وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بتنميقها بواسطة تكييفها مع ظرف زمني أو مكاني أو علة أو شرط (هكذا، كذلك). لهذا السبب، مع ذلك، مع أن، على أن، إذن، من ثم، حينئذ، إذ ذاك .):

- كان فلان مذعوراً، ولهذا جرى بعيداً.

٢× ١

علاقة التصميم Projection: وتعنى أن الجملة الثانية تصمم من خلال الجملة الأولى. وللجملة المصممة حالتان:

(الحالة الأولى) أن تكون ملفوظاً ("يقول") (أى تنصيص مزدوج): وذلك بأن تصمم الثانية على أنها ملفوظ as locution أو بناء لفظي:

- قال فلان : "سأجرى بعيداً"

٢" ١

(الحالة الثانية) أن تكون فكرة (يفكر) (أى تنصيص مفرد): وذلك بأن تصمم الثانية على أنها فكرة أو بناء معنوي.

- فكر فلان في نفسه، : سأجرى بعيداً،^(٢٠)

٢' ١

العلاقات المنطقية-الدالية التي تحكم علاقة التوازي وطرق هذه العلاقات، هي ذاتها التي تحكم علاقة التراكم، ولكن طبيعة علاقة جزأى المنطوق أو المركب الجملي أو العباري أحدهما بالآخر تميز بين التوازي والتراكم. الجدول التالي يبين هذا التمايز:

العلاقة	الطريقة	التوازي	التراكم
الإحكام	س لم ينتظر؛ جرى بعيداً	س جرى بعيداً. مما فاجأ الجميع	أ = ب
الإطالة	س جرى بعيداً، واختبأ ص وراءه	س جرى بعيداً. بينما ص يختبأ وراءه	أ + ب
التعظيم	كان س مذعوراً؛ ولهذا جرى بعيداً	س جرى بعيداً؛ لأنه كان مذعوراً	أ × ب
التصميم	قال س: "سأجرى بعيداً"	قال س بأنه كان يجرى بعيداً	أ "ب"
الفكرة	فكر س في نفسه، : "سأجرى بعيداً"	فكر س أن يجرى بعيداً	أ ب

يتضح من الأمثلة السابقة بالجدول:

١- أن الرقم ١ يشير - في علاقة التوازي- إلى الجملة السابقة، وأن الرقم ٢ يشير إلى الجملة اللاحقة. وكل منهما يماثل الآخر.

٢- أن الحرف أ يشير - في علاقة التراكم- إلى الجملة الحاكمة، وأن الحرف ب يشير إلى الجملة المحكومة، أى أن الجملة الحاكمة تقوم على تكييف الجملة الأخرى المحكومة.

في تفصيل أنماط التمديد، يبدأ هاليداي بالإحكام Elaborating ، فيجعل له ثلاث صور:

(الأولي) العرض Exposition : وفي العرض ترتبط الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بتعبير آخر، لتقديمها من وجهة نظر أخرى.

وربما لا يكون ذلك إلا لتقوية الرسالة، نحو:

☐ تلك الساعة لا تمشي، إنها لا تعمل.

☐ ليست كلبة استعراض، لا أبيعها على أنها كلبة استعراض.

☐ تدحض إحدى الحجتين الأخرى، كلاتهما ليست صحيحة.

يمكن أن تكون العلاقة بين الجملتين صريحة، وذلك إذا استخدمت الروابط مثل: أو، بالأخرى. بعبارة أخرى. ويمكن أن يقال، أي.

(الثانية) الشرح بالتمثيل Exemplification : وذلك بأن تطور الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بأن تخصصها أو تحددها على نحو أشد. وغالباً ما يكون ذلك بالتمثيل الفعلي، نحو:

☐ دخلنا في سباق. دخلنا في سباق المجموعات.

☐ وجهك مثل وجه سائر الناس. هكذا العينان، وأنف في الوسط، وفم أسفل منه.

في هذه الصورة، تستخدم الروابط الصريحة: مثلاً، وعلى سبيل المثال، وعلى سبيل الاستشهاد، ونحو، مثل، وبخاصة.

(الثالثة) التوضيح Clarification : في هذه الصورة توضح الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بإحدى أساليب التوضيح أو بتعقيب توضيحي:

☐ تنظر فلانة حائرة، كانت تفكر في البودينج.

☐ كانت حيوانات للاستعراض؛ اشتريناها فقط لأنها أليفة.

☐ لم يقل لها شيئاً قط، الحق أن ملحوظتها السابقة كانت نحو الشجرة.

☐ لم أفاجأ، كان ذلك ما توقعته.

يشيع في هذه الصورة تعبيرات مثل: الحق، حقاً، في الحقيقة، فعلاً، على الأقل. وليست هذه الروابط مؤشرات بنائية على علاقة التوازي. إنها مؤشرات سبكية Cohesive أكثر منها بنائية Structural. ويغلب جداً أن تتجاوز الجملتان (من غير رابط).

أما الإطالة Extending فلها صورتان اثنتان:

(الأولي) الإضافة addition : وذلك بأن يضم نسق إلى آخر من غير أن يستلزم ذلك أي علاقة سببية أو زمنية بهما، مثل:

☐ يربي الدجاج، وترعى زوجته الحديقة.

☐ إنها لا تعطي أي تعليمات، ولا تساعد إن أعطت.

غالباً ما تصحب الإضافات المتوازية بمواد سبكية مثل: أيضاً، وكذلك، وبالإضافة إلى. فضلاً عن ذلك، ومن ناحية أخرى.

(الثانية) التنوع Variation : وذلك بأن تقدم الجملة على أنها البديل الكلي أو الجزئي لجملة أخرى:

☐ لا تقف ناظراً إلى نفسك هكذا، ولكن أخبرني عن اسمك وعملك.

- ☐ هم يعملون عملاً طيباً، غير أنهم كانوا فيه متكاسلين.
- ☐ أريد أن أتركك الآن، بيد أنني لا أجد معي رقم هاتفك.
- الروابط السبكية التي تصاحب هذه الصورة هي: على العكس من، وبدلاً من ذلك. ومن ناحية آخرين على الرغم من - وغير (بيد) أن.

تدرج المعلومات السابقة في الجدول التالي على هذا النحو:

المعنى	النوع
س و ص	(١) إضافة
لا س ولا ص	" و " : إضافة - إيجابية
س وعلى العكس من ذلك ص	" ليس " : إضافة - سلبية
	" لكن " : استدرائية
	(٢) تنويع
ليس س ولكن ص	"على رغم من" : استبدال {يسد مسد }
س وليس كل س	"غير أن" : طرح أو إسقاط
س أو ص	"لكن" : بديل

وأما التعظيم Enhancing ، فتكيف فيه الجملة الأولى الجملة الثانية بإحدى الطرق الممكنة، كالإشارة إلى الزمان، أو إلى المكان، أو إلى الطريقة، أو إلى السبب، أو إلى الشرط، أو إلى الحالة^(١٣٦).

يدلنا فحص النصوص الحجاجية المختارة لهذه الدراسة - في ضوء منهج هاليداي في التوازي - يدلنا على أن العلاقات المنطقية - الدلالية التي تقع بين العنصرين: السابق، واللاحق في بنية التوازي، قد تجلت في كثير من تلك النصوص في نمطها المذكورين عنده: علاقة التمديد، وعلاقة التصميم.

(١) علاقة التمديد

أما علاقة التمديد، فقد وقعت في تلك النصوص بطرائقها الثلاث التي حددها هاليداي جميعاً:

(أ) فالتمديد بالإحكام: نرى له نماذج مختلفة سواء في صورة العرض أم الشرح أم التوضيح:

(أولاً) الإحكام في صورة العرض: ومنه قول الكندي:

- فاحذرهم كل الحذر، ولا تأمنوهم على حال^(١٣٧).

٢=

١

قول المازني:

- (عظماء الدنيا) يمتازون بالبساطة. ولا يعرفون هذه الأصول المستحدثة^(١٣٨).

٢=

١

وقول طه حسين عن الرافعي:

- يفلسف فى الجمال والحب، أى يضع نفسه، بين الفلاسفة^(١٣٩).

١ = ٢

وقوله:

- الثورة عرض والانحطاط عرض، كلاهما يزول^(١٤٠).

١ = ٢

فيما سبق استخدمت الروابط مثل: الواو، أى، ولكن كثر إسقاطها فى حالات أخرى.

(ثانياً) الإحكام فى صورة الشرح: ومنه قول طه حسين:

- (أنصار القديم) يحيون حياتهم كارهين:

١

يأخذون بلذاتها ويحتملون آلامها دون أن يكون لهم فى شئ من ذلك رأي^(١٤١).

٢ =

وقوله عن الرافعى:

- هو متكلف يعرض لما لا يعلم ويصف ما لا يحس^(١٤٢).

وقول محمد زكى عبد القادر:

- تستبد به النزوات، نزوات المال أو السلطان^(١٤٣).

١ = ٢

(ثالثاً): الإحكام فى صورة التوضيح: ومنه قول إخوان الصفا:

- (مسألة الإمامة) باقية إلى يومنا هذا، لم تنفصل^(١٤٤).

١ = ٢

وقول طه حسين:

- لم ينكر الفرنسيون ذلك (أن يضيف غيرهم إلى لغتهم). وإنما قبلوه^(١٤٥).

١ = ٢

وقوله:

- اللغة ليست من وحى السماء، وإنما هى ظاهرة من ظواهر الاجتماع الإنسانى^(١٤٦).

١ = ٢

ومما يلاحظ فى التمديد بالإحكام أن النص الحجاجى العربى يميل إلى الإحكام بالتوضيح والإحكام بالعرض ميلاً أقوى، وإن كان ميله إلى الإحكام بالتوضيح هو الأقوى على الإطلاق.

(ب) وأما التمديد بالإطالة، فنرى له أيضاً نماذج مختلفة من صورتيه:

الإطالة بالإضافة، والإطالة بالتنويع.

(أولاً) من الإطالة بالإضافة: قول مصطفى محمود:

– الابن يقتل أباه . والأم تقتل ابنها^(١٤٧)

٢+

١

والإطالة بالإضافة نمط بارز جداً عند مصطفى محمود بوجه خاص.

(ثانياً) ومن الإطالة بالتنويع : قول محمد زكى عبد القادر:

– من الألم ينبع كل شئ عظيم ، ولكن ليس كل ألم ينبع منه شئ عظيم^(١٤٨).

٢+

١

يعبر عن الصورة السابقة من الإطالة بالتنويع هكذا.

س ولكن ليس كل س ، أى هى إطالة باستثناء شئ ما من العنصر السابق.

ومن الإطالة بالتنويع أيضاً قول إخوان الصفا:

– لم يصف الله إلى نبوة محمد الملك لرغبته فى الدنيا.

١

ولكن أراد الله أن يجمع لأمة الدين والدنيا جميعاً^(١٤٩).

٢+

ويعبر عن هذه الصورة هكذا : ليس س ولكن ص.

(ج) وأما التمديد بالتعظيم ، فنرى له فى نصوصنا الحجاجية المختارة صوراً عدة ، من أهمها ما يلى :

(أولاً) التعظيم بالإشارة إلى الزمان ، ومنه قول إخوان الصفا :

– أقام النبى بمكة نحواً من اثنتى عشرة سنة .

١

ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة^(١٥٠).

٢×

وتسمى هذه الصورة بالتعظيم الزمانى المتقدم ، أى : أ قبل ب.

(ثانياً) التعظيم بالطريقة ، ومنه قول إخوان الصفا أيضاً :

– كان يوسف الصديق من الزاهدين فى الدنيا ،

١

وهكذا كان داود (عليه السلام) وسليمان (عليه السلام)^(١٥١).

٢×

وقولهم أيضاً :

– كان سليمان زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة^(١٥٢).

١

وهكذا كان النبي (عليه السلام) زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة^(١٥٠).

٢×

ما سبق يمثل التوازي في علاقة التمديد بالتعظيم في هيئة الطريقة من النوع الثاني وهو المقارنة. "هكذا" فيما سبق تعني: "بهذه الطريقة". ويقصد بها في هذه البنية من بني التوازي المقارنة. هذه العلاقة نراها شائعة شيوعاً خاصاً في نصوص إخوان الصفا.

(ثالثاً) التعظيم في هيئة العلاقة: سبب أثر، ومنه قول طه حسين:

— كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء^(١٥١).

٢×

١

تبرهن نصوص الدراسة على أن طه حسين أكثر الحجاجيين اعتماداً على هذه العلاقة.

(١) علاقة التصميم

كان الاعتماد الرئيس في بنية التوازي بالنصوص الحجاجية التي بين أيدينا على علاقة التمديد. أما حالات التصميم، فعددها بعدد حالات مقول القول، سواء أكانت لصاحب النص أم لغيره. وهي قليلة جداً إذا قورنت بعلاقة التمديد.

من التصميم بالقول قول إخوان الصفا:

— قال أزدشير: إن الملك والدين أخوان توأمان^(١٥٢).

٢"

١

ومنه قول الكندي:

— قال (صاحبنا لبنى تغلب): إني والله كنت أجرى ما جرى هذا الغيل^(١٥٣).

٢"

١

ومن التصميم بالفكرة قول طه حسين:

— قدرت في نفسي (شيئاً آخر): لو أن للرافعي حظاً من الإنصاف^(١٥٤).

٢'

١

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ندرة التصميم بالفكرة في النصوص الحجاجية العربية ندرة بالغة.

التوازي بالمفهوم الإصطلاحي عند هاليداي بنية تركيبية أثيرة في خطاب الحجاج العربي. في هذا الخطاب تبدو بنية التوازي استراتيجية مهمة من استراتيجيات الإقناع بوجهة النظر. فضلاً عن تقاطع بنية التوازي أحياناً مع بنية التكرير المضموني، على نحو ما يمكن أن نرى في بعض نماذج طرائق التمديد؛ كقول الكندي: "فاحذروهم ولا تأمنوهم"، أو قول طه حسين: "الثورة عرض والانحطاط عرض، كلاهما يزول"، نرى كذلك إطناباً قصد به الإقناع في بعض حالات التمديد بالعرض والشرح والتوضيح. ولكن ليس كل ألم، فإنه يستعين بالنسق: س ولكن ليس كل س. على إقناع القارئ بمصادقيته: الكاتب يظهر استقصاءه الذي لا يشك في دقته، إذن سنطمئن إلى صدق دعواه.

كذلك الحال مع النسق الآخر: ليس س ولكن ص، الذي يقدم العنصر الأول من بنية التوازي بطريقة تفرض على المخاطب أن يستنتج العنصر الثاني؛ أي أنه يقدم العنصر الأول

لمصلحة حصر المعنى في العنصر الثاني. المتكلم يقول للمخاطب: أهمل المعنى أو الفكرة في ١ واعتمد فقط على ٢+. بعبارة أخرى: ترسم ٢+ حركة حجاجية معاكسة- أو على الأقل مخالفة- لوجهة النظر في ١.

ب/٣ بنية الازدواج

من المعروف أن "المزدوج" من أقسام الشعر، وهو ما أتى على قافيتين قافيتين إلى آخر القصيدة. يمكن للوهلة الأولى النظر إلى "المزدوج" في النثر على أنه من باب حكايته بنية إيقاعية جوهرية في الشعر ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع، ولكننا نحسبه أصيلاً في نثر لغة ذات أصول شفهية.

عولج المزدوج عند البيانين مظهراً من مظاهر الجودة في صناعة الكلام. يستخلص من جملة ما ذكره القدماء عن الازدواج وما اختاروا له من نماذج من كلام العرب:

١- أن الازدواج تكوينات كلامية متوازنة الأجزاء في عدد وحداتها اللغوية، وهيئات ترتيبيها، وفواصلها.

٢- أن الازدواج يقع أيضاً، على رغم الاختلاف بين الأجزاء في أحد الاعتبارات الثلاثة السابقة. بل في اعتبارين اثنين منها أحياناً.

٣- إذا لم يقع التوازن بين الأجزاء في الطول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير أطول، وإن كان ورد في كلام العرب الفصحاء ما كان فيه الجزء الأخير أقصر.

٤- توازن الأجزاء توازناً كلياً أجمل وجوه التوازن.

٥- فضلاً عما للتوازن من أثر سمعي إيجابي في رونق الكلام، فإن له علاقته بتمكين معناه^(١٥).

ومهما يكن من أمر. فإن استقراء نصوص الدراسة من حيث الاعتبارات المختلفة التي توفر للعبارات المزدوجة توازناً، يدلنا على إمكان تصنيف التوازن في أنواع ثمانية. يعرضها الجدول التالي (العلامة + تعني توفر الخاصية):

الاتفاق في الزنة	الاتفاق في الترتيب	الاتفاق في الفاصلة	
		تام	ناقص
+	+	+	+
+	+	+	+
+	+	+	+
+	+	+	+
+	+	+	+
+	+	+	+
+	+	+	+

وفيما يلي تفصيل تلك الأنواع:

(النوع الأول) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق التام في زنة الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها، وفي الفاصلة: ومن ذلك قول الكندي في سياق تبريره دعواه: "اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكورات الفاكهة، فإن للنفس عند كل طارف نزوة وعند كل هاجم بدوة"^(١٥٧).

(النوع الثاني) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في زنة وحداتها اتفاقاً ناقصاً، فضلاً عن الاتفاق في الترتيب والفاصلة: ومن ذلك قول الإخشيدي مخاطباً أرمانيوس: "والذي تجشمت من مكاتبنا إن كان كما وصفته، فهو أمر سهل يسير، لأمر عظيم خطير"^(١٥٨).

(النوع الثالث) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في الترتيب والفاصلة دون زنة الوحدات: ومن ذلك قول العقاد: "كانت تسمع أكثر الأصوات تنوع نبرات، وتفاوت مقامات"^(١٥٩).

(النوع الرابع) التوازن بالاتفاق في زنة الوحدات اتفاقاً ناقصاً مع الاتفاق في الفاصلة دون الترتيب. ومن ذلك قول العقاد في سياق استهجانه تكلف الرقة في الشعر: "فقد يتم هذا الكلف على داء دخيل، ويشف عن ذبول في الطباع غير جميل"^(١٦٠).

(النوع الخامس) التوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى: ومن ذلك قول الكندي في سياق تبريره دعواه: "ورسول الله ﷺ لم يرحم عيالنا إلا بفضل رحمته لنا"^(١٦١).

(النوع السادس) التوازن بالاتفاق في زنة الوحدات اتفاقاً تاماً وفي الترتيب دون الفاصلة: ومن ذلك قول طه حسين في سياق تقرير معطياته للجدل في مسألة القديم والجديد: "كان هذا الانتقال نفسه، موجوداً للخلاف بين جديد طارئ وقديم زائل"^(١٦٢).

(النوع السابع) التوازن بالاتفاق الناقص في زنة الوحدات، والاتفاق في الترتيب دون الفاصلة: ومن ذلك قول الكندي مقراً دعواه عن المال: "واتفاقه هو إتلافه. وإن حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب"^(١٦٣).

ومنه قوله أيضاً في سياق احتجاجه على من أنفق ماله: "فمدحتهم من مدح صنوف الخطأ، وذمتهم من جمع صنوف الصواب"^(١٦٤).

(النوع الثامن) التوازن بالاتفاق في ترتيب الوحدات فقط: ومن ذلك قول خالد محمد خالد في سياق تبرير دعواه: "الديمقراطية حركة مجتمع، وسبيل أمة، ومنهج دستور"^(١٦٥). وقد يبدو هذا النوع في هيئة التقسيم الحسن الذي تكرر فيه بعض الوحدات؛ كقول محمد زكي عبد القادر في سياق احتياطه لدعواه: "ولا تصور للسعادة من غير شقوة تضاهيها، ولا تصور للنجاح من غير فشل يسبقه"^(١٦٦). وقد يبدو في أحيان أخرى أقل في هيئة التقسيم الحسن الذي تكرر فيه بعض الوحدات مع تقفية قبل نهاية الجزء. من ذلك مثلاً قول طه حسين في سياق تدعيم تبريره: "وثق أنهم ليسوا أقل الناس استمتاعاً بلذات الحياة، وليسوا أقل الناس استبشاعاً لما فيها من بشع"^(١٦٧).

مما يلاحظ هنا أن الأنواع السابقة من ١-٣ أكثر وقوعاً في النص الحجاجي العربي القديم منه في النص الحجاجي الحديث. يرتبط هذا بالطبع بسمات النسق الكتابي العامة أو الغالبة بين كلا العهدين. ويلاحظ - من ناحية أخرى - أن الأنواع من ٤-٨ أكثر من سابقتها وقوعاً في النصوص الحجاجية العربية بعامة، وإن كان النص الحجاجي العربي الحديث يبدى ناحيتها ميلاً أقوى.

ينبغي الإشارة أيضاً إلى أن نصوص الحجاج الحديثة تتفاوت فيما بينها احتفاءً ببنية الازدواج. يقل الازدواج عند العقاد، ويندر عند المازني وخالد محمد خالد ومحمد زكي عبد القادر ومصطفى محمود. ولكنه أكثر من ذلك وقوعاً - في صوره الأربع الأخيرة مما سبق - عند طه حسين. وإذا نظرنا إلى الازدواج من منظور الوحدة التركيبية التي يقع فيها، كأن يكون ازدواجاً

بين عبارات من جملة واحدة، أو ازدواجاً بين جمل تامة قائمة بذواتها، لرأينا طه حسين أكثر ميلاً إلى استخدام الازدواج بين الجمل. وإذا قارنا بين نصوص اثنين من القدماء هما الكندي والإخشيدي (الذي يعكس له كاتبه في رسالته إلى أرماتوس طراز العصر في الكتابة الحجاجية) واثنين من المحدثين هما طه حسين والعقاد، لرأينا أن الازدواج في النصوص الحجاجية القديمة يكاد يكون قسمة بين وقوعه في العبارات ووقوعه في الجمل، ولكن الغلبة في النصوص الحجاجية الحديثة تبدو للازدواج بين جمل تامة. والجدول الإحصائي التالي يبين ذلك:

بين عبارات من جملة	بين جمل تامة	
طه حسين	٢٨.٦٪	٧١.٤٪
العقاد	١٦.٦٪	٨٣.٣٪

من الناحية الدلالية، تتقاطع حالات التوازن مع حالات ينتظمها تكرير المضمون أو التقابل أو التخالف. تجمع الجملتان: "خارت عزائمها ومارت دعائمها" في كلام العقاد بين التوازن والتكرير المضموني. ويجمع الجزآن في جملتين: "فمدحتم من مدح صنوف الخطأ. وذمتم من جمع صنوف الصواب" في كلام الكندي بين التوازن والمقابلة. وتجمع الجملتان: "يقروون مثل هذا الشر ويحتملون مثل هذا المنكر" في كلام طه حسين بين التوازن والمخالفة في المعنى.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن حالات تقاطع التوازن بالتكرير المضموني يمثل ما يقرب من ثلاثة أرباع حالات تقاطعه مع العلاقات الدلالية الأخرى بين الأجزاء المتوازنة. وهذه مسألة مهمة للغاية لكل من التوازن والتكرير المضموني. نحن أمام مثل هذا القدر من العبارات والجمل المتوازنة على مستوى الشكل والمترادفة أو شبه المترادفة على مستوى المضمون. وهذه هي المنطقة المركزية الأهم التي تتفاعل فيها البنية والدلالة وتشتغلان معاً في النص الحجاجي العربي وقد تهيأت له مكوناته الحجاجية المختلفة قصداً إلى تثبيت التبرير أو إقناع الخصم والمخاطب بعمامة بصدق دعوى الحجاج.

إذا كان التوازي - بمفهومه الاصطلاحي الذي رأيناه آنفاً - بنية تركيبية تربط بين عنصريها علاقات دلالية منطقية. فإن التوازن على نحو ما نرى بنية تركيبية تربط بين عنصريها علاقات سمعية من طول ووزن وفاصلة تعكس فكراً مرتباً مترناً مقنعاً.

والحق أن بعض الباحثين المعاصرين من العرب والمستشرقين قد خلط خطأً ذريعاً بين التوازي والتوازن. أولى بما ذكره عدنان جبوري وباربرا جونسون كوتش من حالات للتوازي أن تعد من حالات التوازن:

حلل عدنان جبوري نصاً حجاجياً لمصطفى أمين في عموده الذي كان معروفاً تحت عنوان "فكرة". من أمثلة جبوري على التوازي في هذا النص قول مصطفى أمين: "وكم من أحزاب حكمت ثم حوكت، وتولت ثم اندثرت، وارتفعت ثم سقطت".^(١٨)

وحللت باربرا جونسون عدداً من النصوص الحجاجية تقع في النصف الثاني من القرن العشرين. من أمثلة باربرا على التوازي النصان التاليان:

(١) ظل الألمان منقسمين بين عشرات الدول والدويلات المستقلة، وظل الطليان موزعين على ثمانى وحدات سياسية، والبولونيون مقسومين بين ثلاث دول قوية، واليوغوسلافيون خاضعين إلى حكم دولتين عظيمتين.

وتسمى باربرا هذا النوع باسم التوازي الكاشف Listing parallelism، وهو - كما تقول - نوع من التوازي الضيق المحكم بين عبارات كاملة. تتميز بأنها أجزاء من النص، تكشف عن أمثلة وتفاصيل.

(٢) "فكان من الطبيعي أن تنشأ الفكرة القومية، وتترعرع وتقوى بسرعة كبيرة في البلاد الألمانية بعد النكبات التي توالى عليها خلال تلك الحروب. وكان من الطبيعي أن ينتشر فيها الإيمان بوحدة الأمة الألمانية. وكان من الطبيعي أن يدفع هذا الإيمان مفكرى ألمانيا وساستها إلى مكافحة النزعات الإقليمية بكل قوة وحماسة".

وتسمى هذا النوع باسم " التوازن التراكمى Cumulative parallelism ". وتعرفه بأنه نوع من التوازي غير التام على نحو ما كان فى المثال الأول. وهو تراكمى لأن العناصر الثلاثة "كان من الطبيعى" من نوع التأثير التراكمى، وذلك أن كل عنصر يبنى على العنصر الذى يسبقه^(١٦٩).

نرى أن حالات التوازي عند هذين الباحثين ينبغي لها أن تدرج فى حالات التوازن. هى ليست من التوازي بمفهومه الاصطلاحي فى شئ، إلا إذا التمسنا لها وجهاً من كلام القدماء. أورد أبو هلال العسكري أمثلة عدة على المزدوج من كلام الأعراب، حوفظ فيها غالباً على الطول والترتيب والفاصلة، ثم علق عليها قائلاً: "فهذه الفصول متوازية لا زيادة فى بعض أجزائها على بعض بل فى القليل منها، وقليل ذلك مغتفر لا يعتد به"^(١٧٠). قصد بالتوازي هنا - فيما يفيد السياق - سوق كل جزء بإزاء الآخر وعلى شاكلته فى الطول والفصل والترتيب. ولكننا الآن، وقد صار التوازي يعنى فى المفهوم الاصطلاحي شيئاً آخر مختلفاً، لا نرى للخلط بينهما وتسمية أحدهما باسم الآخر وجهاً سائغاً.

وعلى عكس جبورى وباربرا، فهتمت شيرلى أوستلر Schirley Ostler التوازن على حقيقته. من الناحية النحوية، تبدو العربية - وفقاً لشيرلى - مجاهدة من أجل تحقيق التوازن Balance، على معنى التوافق الإيقاعى بين عناصر مترابطة. وهى ترى هذا التوافق (أو السيـمترية) على مستوى نظم الجملة، وفى تساوى عدد الوحدات المعجمية بين الجمل والعبـارات^(١٧١).

الهوامش:

(١) راجع فى تفصيل ذلك:

دوبوجراند (روبرت): النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ص ٤١١.

حاتم (باسل) - ميسون (ايان): الخطاب والمترجم، ترجمة د. عمر فايز عطارى، النشر العلمى والمطابع بجامعة الملك سعود، الرياض (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ص ٢١٥-٢١٦.

- Brinker, Klaus: linguistische Textanalyse. Eine Einfuehrung in Grundbegriffe und Methoden. 3., durchges. und erw. Aufl. (1992) S. 131.

(2) Brinker, Op. Cit., SS. 133-139.

(٣) النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق ص ٤١٥-٤١٦.

(٤) راجع فى تفصيل ذلك:

- Guelich, Elizabeth-Raible, Wolfgang: Textsorten Probleme. IN: Linguistische Probleme der Textanalyse. Schwann. Duesseldorf. I Auflage (1975). SS. 144-197, SS. 146-147

(5) Andersen, Jerry, M, - Dovre, Paul, J.: Readings in Argumentation. Allyn and Bacon, Inc. Boston (1968) P.3

(6) Huber, Robert, B.: Influencing through Argument. David Mc Kay Co. Inc. New York (1963) P.4

(7) MCBurney, J.,- Mills, G. E.: Argumentation and Debate. Mac Millan Co. New York (1964) P.1.

(8) Fisher, Walter-Sayles, Edward: The nature and Function of Argument. In: Gerald R. Miller and Thomas R. Nilsen (eds.): Perspective on Argumentation. Scott, Foresman and Co. Chicago (1966) pp. 3-27, pp3-4.

- (9) Perelman. Ch.- Tyteca, Olbrechts: **Traité de L'argumentation**, Presses universitaires de Lyon (1981) p.92
- (10) Rieke, Richard, D.- Sillars, Malcolm, O.: **Argumentation and the decision Making process**, John Wiley and Sons, Inc. USA (1975) pp.6-7.
- (11) Mass, Utz: **Sprachliches Handeln II: Argumentation**. In: Hans Buehler (hersh.): Sprache 2. Fischer taschenbuch Verlag. Frankfurt (1973) SS.158-178, S. 158
- (12) Schiffrin, Deborah: **Everyday Argument: The Organization of Diversity in Talk** In: Teun A. van Dijk (ed.): **Handbook of Discourse Analysis**, Vol.3: Discourse and Dialogue. Academic Press. London. 3d. Edition (1989) pp. 35-46, p.35.
- (13) Heinemann, Wolfgang-Viehweiger, Dieter: **Textlinguistik**. Eine Einführung. Max Niemeyer Verlag. Tuebingen (1991) S.249.
- (14) Brandt, William, J.: **The Rhetoric of Argumentation**. 1 st. Printing. USA (1970) pVII

(١٥) راجع في تفصيل ذلك:

Brandt, W.: **The Rhetoric**, op. cit. pp. 22-26.

(١٦) راجع في تفصيل ذلك:

Rieke- Sillars: **Argumentation**, Op. Cit. Pp. 77-78

(١٧) المرجع السابق، ص ١١٥.

- (18) De Beaugrande, R-Dressler, W.: **An Introduction to Text linguistics**. (1981) p.148.
- (19) Scheidel, Thomas, M.: **Persuasive Speaking**. Scott, Foresman and Co. Glenview (1967) p.1
- (20) Freely, Austin, J.: **Argumentation and Debate**. Widsorth publishing Co. Belmont. 2nd. ed. (1966) p.7
- (21) Martin, Howard, H.- Andersen, Kenneth, E.: **Speech Communication**. Allyn and Bacon, Inc., Boston (1968) p.6

(٢٢) يلحظ حافظ قويعة أن حجاج عبد القاهر في الدلائل يقوده منطق قائم على قاعدة: " لا لأن ذلك يؤدي إلى ... " وهو - في رأيه - منطق أقرب إلى آلية "سد الذرائع" عند الفقهاء:

قويعة (حافظ): سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، بحث منشور في: **عبد القاهر الجرجاني (أعمال ندوة)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس (١٩٩٨م) ص ٢٥٣-٢٦٣، ص ٢٦٠.

(٢٣) ابن وهب (أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان): **البرهان في وجوه البيان**. تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، (١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م)، ص ٢٢٢.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٢٢٨، ٢٢٥.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ٢٤٣، ٢٤٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٢٣٦-٢٣٩.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ٢٢٤.

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

(٣١) المرجع نفسه، ص ٢٣٧.

(٣٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٩.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٢٤٤، ٢٤٣.

(٣٥) المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

(٣٦) راجع في تفصيل ذلك:

Rieke-Sillars: **Argumentation**, Op. Cit. Pp2-3.

- (٣٧) القرطاجنى (حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس (١٩٦٦)، ص ٦٣.
- (٣٨) ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفى ود. بدوى طبانة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط ٢ (١٩٧٣) ٢٥٠/٢.
- (٣٩) المرجع السابق، ٢٥٠/٢.
- (٤٠) منهاج البلغاء، ص ٦٤، ومن طرق تحقيق التموهيات التى ذكرها حازم: طى محل الكذب من القياس عن السامع. اغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباها بما يكون صادقاً. ترتيب القياس على وضع يوههم أنه صحيح لاشتباهاه بالصحيح. بالأمريين الأخيرين معاً.
- بالهاء السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من الإيداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع فى القياس (راجع فى تفصيل ذلك: منهاج البلغاء، ص ٦٤).
- (٤١) باسل حاتم: نموذج المجادلة من البلاغة العربية. بحث مترجم فى: بحوث فى تحليل الخطاب الإقناعى. اختيار وترجمة د. محمد العبد، دار الفكر العربى - القاهرة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ص ٣٩ - ٦٠-٤٧ وقران الأصل فى:
- (42) Hatim, Basil: A Model of Argumentation from Arabic Rhetoric. Insights for a Theory of Text Types. British Society for Middle Eastern Studies. Bultin 17, 1: 47-54, p.49:
- (43) Rieke-Sillars: Op. Cit. P97.
- (٤٣) المرجع السابق، ص ٩٩.
- (٤٤) طه حسين: مقال "أحسن إلى وأنا مولاك"، من كتاب: حديث الأربعة، دار المعارف بمصر، الطبعة ١٢ (١٩٨٩)، ١٢٩/٣.
- (٤٥) إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م)، ٣٦/٤.
- (٤٦) المرجع السابق، ٣٦/٤.
- (٤٧) إبراهيم عبد القادر المازنى: القدماء والمحدثون، من كتاب: حصاد الهشيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٩م)، ص ٢٢.
- (٤٨) البرهان فى وجوه البيان، مرجع سابق ص ١٦.
- (٤٩) المرجع السابق، ص ١٤٦.
- (٥٠) المرجع نفسه، ص ١٤٦.
- (٥١) طه حسين: مقال: أحسن إلى، من كتابه: حديث الأربعة، ١٢٧/٣٠.
- (٥٢) خالد محمد خالد: مقال: قضية تنتظر الفهم الصحيح، من كتابه: دفاع عن الديمقراطية، دار ثابت، الطبعة الأولى (١٤٥٠هـ - ١٩٨٥)، ص ١٧٨.
- (53) Rieke-Sillars: P121.
- (٥٤) عباس محمود العقاد: مقال: الغزل الطبيعى، من كتابه: الفصول، دار المعارف بمصر (١٩٨٦م)، ص ٩٤.
- (٥٥) المرجع السابق، مقال: الأدب العصرى، ص ١٠٤.
- (٥٦) مصطفى محمود: مقال: الحب القديم، من كتاب: الإسلام فى خندق، كتاب اليوم - دار أخبار اليوم، الطبعة ٦ (١٩٩٤م)، ص ٩.
- (٥٧) راجع فى تفصيل ذلك: Rieke-Sillars: Pp154-156.
- (٥٨) أحسن إلى وأنا مولاك، من: حديث الأربعة، ١٢٨/٣.
- (٥٩) قضية تنتظر الفهم الصحيح، من كتابه: دفاع عن الديمقراطية، ص ١٧٦.
- (٦٠) محمد زكى عبد القادر: مقال: من الألم ينبع كل شئ عظيم، من كتابه: الله فى الإنسان، كتاب اليوم - دار أخبار اليوم (١٩٩٢م)، ص ١٥٢.
- (٦١) الجاحظ (عثمان أبو عمرو بن بحر): البخلاء، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجرى، دار الكاتب المصرى - القاهرة (١٩٤٨م) ص ٧٨.

(62) Schnelle, Helmut: Zur Explikation des Begriffs "Argumentativer Text". In: Linguistische Probleme der Textanalyse. Schwann.1. Auflage (1975) SS. 4-76, S.67.

(٦٣) البرهان، مرجع سابق، ص٧٦-٧٨.

(٦٤) رسائل إخوان الصفا، مرجع سابق، ٢٨/٤.

(٦٥) راجع في تفصيل ذلك:

Brandt, William: The Rhetoric of Argumentation, op. cit. P.24

(٦٦) المرجع السابق، ص٣٣.

(٦٧) البخلاء ص٧٨.

(٦٨) رسائل إخوان الصفا، ٣١/٤.

(٦٩) من مقال: القديم والجديد، من كتابه: حديث الأربعة، ٣١/٣.

(٧٠) مقال "القدماء والمحدثون" من كتابه: حصاد الهشيم، ص٢٢٣.

(٧١) المرجع السابق، ص٢٢٣.

(72) Brandt, William: The Rhetoric of Argumentation, op. cit. P.24

وراجع في شرح العلاقة بين الأقوال في القياس المضمرة: المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٧٣) مقال: أحسن إلى وأنا مولاك، من كتابه: حديث الأربعة، ١٢٦/٣.

(٧٤) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٧٥) البرهان في وجوه البيان، ص١٣٤.

(٧٦) من مقال: الأدب ينهض في عصور المشادة، من كتابه: حصاد الهشيم، ص٤٨.

(٧٧) من مقال: القديم والجديد، من: حديث الأربعة، ٣١/٣.

(78) Brandt, William: The Rhetoric of Argumentation, op. cit. P.24

(٧٩) مقال: الجديد والقديم من : حديث الأربعة، ٣١/٣.

(٨٠) مقال: تجربتنا مع الديمقراطية من: دفاع عن الديمقراطية، ص٣١.

(٨١) مقال: من الألم ينبع كل شيء عظيم، من: الله في الإنسان، ص١٥١.

(82) Brandt, William: The Rhetoric P.32

(83) Koch, Barbara Johnstone: Presentation as Proof: The Language of Arabic Rhetoric, Anthropological Linguistic. Vol.25 No.1 (1983) pp. 47-60, p.47.

(٨٤) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ١٠٤/١-١٠٥.

(٨٥) ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر، مرجع سابق، ٢٩/٣، ٢٠، ٤١، ٤٠.

(٨٦) المرجع السابق، ١٧/٣.

(٨٧) المرجع نفسه، ٣/٣.

(٨٨) المرجع نفسه، ٢٧/٣.

(٨٩) المرجع نفسه، ٣/٣.

(٩٠) المرجع نفسه، ٢٧/٣.

(٩١) البيان والتبيين ١٠٤/١.

(92) Halliday, M.A.K.- Hasan, Ruqaiya: Cohesion in English. Longman. 5th. Impression (1983) pp.278-282.

(٩٣) المرجع السابق، ص٢٨٨.

(٩٤) العسكري (أبو هلال): كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربي، (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، ص١٥٦.

(٩٥) المرجع السابق، ص١٥٧.

(96) Ostler, Schirley, E.: English in Parallels: A Comparison of English and Arabic Prose. South California Uni. Pp.169-185 p.172.

(97) Koch, B. J.: Presentation, op. cit. P.47

- (٩٨) مقال: الأدب العصري، من: الفصول، ١٠٥.
- (٩٩) الغزل الطبيعي، من كتابه: الفصول، ص ٩٥.
- (١٠٠) المرجع السابق، ص ٩٦.
- (١٠١) المرجع نفسه، ص ٩٩.
- (١٠٢) المرجع نفسه، ص ١٠٢.
- (١٠٣) المرجع نفسه، ص ٩٩.
- (١٠٤) مقال "القديم والجديد" من كتابه: حديث الأربعاء، ٣/٣١.
- (١٠٥) مقال "أنشودة الأمل" من كتابه: كلمة السر، كتاب اليوم - دار أخبار اليوم، (١٩٩٨)، ص ١٥.
- (١٠٦) مقال "التعدد في حياة الإنسان" من كتابه: الله في الإنسان، مرجع سابق، ص ١١.
- (١٠٧) مقال أحسن إلى، من: حديث الأربعاء، ٣/١٢٦.
- (١٠٨) المرجع السابق، ٣/١٢٧.
- (١٠٩) البخلاء، ص ٧٨.
- (١١٠) مقال "القديم والجديد" من كتابه: حديث الأربعاء، ٣/٣٢.
- (١١١) المرجع السابق، ص ٥٣/٣.
- (١١٢) مقال: من الألم ينبع كل شيء عظيم، من كتابه: الله في الإنسان، ص ١٥١.
- (١١٣) رسائل إخوان الصفا، ٤/٣٥.
- (١١٤) كتاب الإخشيد إلى أرمانوس، في كتاب: جُمهرة رسائل العرب، جمع أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م)، ٤/٤٢١.
- (١١٥) المرجع السابق، ٤/٤٢٢.
- (١١٦) مقال: الأدب ينهض في عصور المشادة. من كتاب: حصاد الهشيم، ص ٤٧.
- (١١٧) المرجع السابق، ص ٤٨.
- (١١٨) البخلاء، ص ٨٠.
- (١١٩) رسائل إخوان الصفا، ٤/٣٠.
- (١٢٠) مقال: من الألم ينبع كل شيء عظيم، من كتابه: الله في الإنسان، ص ١٥١.
- (١٢١) مقال: الغزل الطبيعي، من كتابه: الفصول، ص ٩٦.
- (١٢٢) كتاب الإخشيد، من كتاب: جُمهرة رسائل العرب، ٤/٤١٩ - ٤٢.
- (١٢٣) البخلاء، ص ٨٠.
- (١٢٤) مقال: الحب القديم، من كتاب الإسلام في خندق، ص ٨.
- (١٢٥) البخلاء، ص ٧٩.
- (١٢٦) رسائل إخوان الصفا، ٤/٣٦.
- (١٢٧) مكاتبة الإخشيد، من: جُمهرة رسائل العرب، ٤/٤١٦.
- (١٢٨) البخلاء، ص ٧٨.
- (١٢٩) البخلاء، ص ٨.
- (١٣٠) أونج، والتر: الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البنا عز الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (١٤١٤ - ١٩٩٤)، ص ٩٤.
- (١٣١) مقال: أحسن إلى، من كتابه: حديث الأربعاء، ٣/١٢٧.
- (١٣٢) مقال: الغزل الطبيعي، من كتابه: الفصول، ص ١٠٠.
- (١٣٣) مقال: الأدب العصري، من كتابه: الفصول، ص ١٠١.
- (١٣٤) مقال: الحب القديم، من كتابه: الإسلام في خندق، ص ٧.
- (١٣٥) راجع في تفصيل ذلك
- Halliday, M. A. K.: An Introduction to Functional Grammar. Edward Arnold. London-Routledge, Chapman and Hall. Inc. U.S.A 2nd Edition (1994) pp.216-225, pp.23-235.
- (١٣٦) المرجع السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٦.
- (١٣٧) البخلاء، ص ٧٨.

- (١٣٨) مقال: القدمات والمحدثون، من كتابه: حصاد الهشيم، ص ٢٢٣.
- (١٣٩) مقال: أحسن إلى من كتابه: حديث الأربعاء، ١٢٦/٣.
- (١٤٠) مقال: القديم والجديد من كتابه: حديث الأربعاء، ٣٥/٣.
- (١٤١) المرجع السابق، ٣١/٣.
- (١٤٢) مقال: أحسن إلى، من كتابه: حديث الأربعاء، ١٢٦/٣.
- (١٤٣) مقال: التعدد في حياة الإنسان، من كتابه: الله في الإنسان، ص ١٣.
- (١٤٤) رسائل إخوان الصفا، ٣٠/٤.
- (١٤٥) مقال: القديم والجديد من كتابه: حديث الأربعاء، ٣٣/٣.
- (١٤٦) المرجع السابق، ٣٣/٣.
- (١٤٧) مقال: أنشودة الأمل، من كتابه: كلمة السر، ص ١٥.
- (١٤٨) رسائل إخوان الصفا، ٣٣/٤.
- (١٤٩) المرجع السابق، ٣٣/٤.
- (١٥٠) المرجع نفسه، ٣٣/٣.
- (١٥١) المرجع نفسه، ٣٢/٤.
- (١٥٢) مقال: أحسن إلى من كتابه: حديث الأربعاء، ١٢٦/٣.
- (١٥٣) رسائل إخوان الصفا، ٣٣/٤.
- (١٥٤) البخلاء، ص ٧٩.
- (١٥٥) مقال: أحسن إلى، من كتابه: حديث الأربعاء، ١٢٥/٣.
- (١٥٦) راجع مثلاً: البيان والتبيين ١١٦/٢، كتاب الصناعتين، ص ٢٦٠-٢٦٥ المثل السائر ٢٩١/١.
- (١٥٧) البخلاء، ص ٨٠.
- (١٥٨) جمهرة رسائل العرب، ٤١٦/٤.
- (١٥٩) مقال: الغزل الطبيعي، من كتابه: الفصول، ص ٩٥.
- (١٦٠) مقال: الأدب العصري، من كتابه: الفصول، ص ١٠١.
- (١٦١) البخلاء ص ٧٩.
- (١٦٢) مقال: القديم والجديد، من كتابه: حديث الأربعاء، ٣١/٣.
- (١٦٣) البخلاء، ص ٧٩.
- (١٦٤) المرجع السابق، ص ٧٨.
- (١٦٥) مقال: تجربتنا مع الديمقراطية، من كتابه: دفاع عن الديمقراطية، ص ٣٠.
- (١٦٦) مقال: التعدد في حياة الإنسان، من كتابه: الله في الإنسان، ص ١٣.
- (١٦٧) مقال: القديم والجديد، من كتابه: حديث الأربعاء، ٣١/٣.
- (168) Al-Jubouri, A.J.R.: The Role of Repetition in Arabic Argumentative Discourse. In Swales J. and H. Mustafa (eds.): English for Specific Purposes in the Arab World. Birmingham: Languages Services Unit. Aston Uni. (1984) pp. 99-117p.102.
- (169) Koch, Barbara, Johnstone: Presentation as Proof, op. cit. p., 50.
- (١٧٠) كتاب الصناعتين، ص ٢٦٢-٢٦٣.
- (١٧١) راجع تفصيل ذلك:
- Ostler, Schriley, E.: English in Parallels, op. cit. pp.173-175.